# أريك

**نشرة غير دورية تصدرها**
**جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة**





العنوان : **٢٦ ش مراد بك ـ صلاح الدين**
**مصر الجديدة ـ القاهرة**
تليفون : ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
البريد الإلكترونى :
arekcairo@yahoo.com
رقم الإيداع : ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

إعداد وطباعة : **ديزاين آرت**
**ت : ٢٤٣٣٠٨١٩ ـ ٠١٧٩٤٢٧١٨١**
da_emad@yahoo.com


## المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **افتتاحية العدد** | ١ |
| القضية الأرمنية فى عصر السلطان عبد الحميد الثانى | |
| **بقلم : چون باتريك كنيروس** | |
| **ترجمة : د . ناهد إبراهيم دسوقى** | |
| **تاريخ** | ٦ |
| الأرمن فى مصر منذ القرن الحادى عشر حتى بداية العصر العثمانى | |
| **بقلم : الأنبا مارتيروس** | |
| **إلكترونيات** | ١٣ |
| الإعلام الإلكترونى وثورة ٢٥ يناير فى مصر | |
| **بقلم : د . هشام بشير** | |
| **موسيقى** | ١٧ |
| إحياء الموسيقى القبطية فى العصر الحديث | |
| **بقلم : د . ماجد عزت** | |
| **متابعة** | ٢٠ |
| السلطة فى العالم العربى عبر العصور | |
| **إعداد : سحر حسن** | |
| **أعلام** | ٢٣ |
| رزق الله حسون الأرمنى | |
| **بقلم : عطا درغام** | |
| **وختاماً** | |
| عبد الحميد الجمَّال | |
| **بقلم : د . محمد رفعت الإمام** | |


السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

**الاسم :** ............................................................
**المهنة :** ............................................................
**العنوان :** ............................................................
**البريد الإلكترونى :** ............................................................
**التليفون :** ............................................................

# القضية الأرمنية فى عصر السلطان عبد الحميد الثانى

بقلم : جون باتريك كنيروس

ترجمة : د . ناهد إبراهيم دسوقى *

كشف السلطان عبد الحميد الثانى عن سياسته الإسلامية بتعيين أول صدر أعظم من الجراكسة وليس من الترك وهو خير الدين الذى كان رئيساً لوزراء باى تونس ، وقد فسر هذا التغيير الجديد بأنه من حقه كخليفة أن يعمل لخدمة كافة المسلمين السنة من خلال الإسلام . وسار بعد ذلك على تفضيل العنصر الإسلامى على المسيحى فى إدارته ، وصار للشيوخ العرب مكانة متميزة فى القصر السلطانى تبعاً لذلك . وبذل السلطان جهداً واضحاً فى سبيل الاهتمام بمشاكل المسلمين فى إمبراطوريته مثل العرب والأكراد والألبان وغيرهم من المسلمين المتواجدين فى البلاد المسيحية ، وصار رجل أوربا المريض السابق هو الآن رجل آسيا القوى ، ولم يُواجه سوى مشكلة واحدة داخل حدوده تختص بالأرمن الذين كان يشك فى نواياهم .

والأرمن يسكنون جغرافياً منطقة تقع بين الشرق والغرب، وفقدوا استقلالهم القومى منذ ٥٠٠ عام مضى، وصاروا موزعين بين تركيا وروسيا وفارس دون وجود دولة أرمنية تحميهم، وعددهم حوالى ٢,٥ مليون نسمة، من بينهم حوالى ١,٥ مليون يمتلكون أراضى فى الولايات الشرقية الست، ولكنهم لم يُشكلوا أغلبية على الإطلاق فيها . والأرمن عناصر مسالمة لا تُحب القتال مثل الأقليات المسيحية الأخرى فى البلقان، وحتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ظل فلاحوهم ينعمون بالهدوء السياسى وموظفوهم لهم شهرة واسعة فى الرزنامة والاقتصاد مثل أشقائهم فى الشركات والأعمال التجارية فى المدن . والأرمن مثل بقية الأجناس الآرية يُخلصون لدينهم ولغتهم وثقافتهم ويتمتعون بكبرياء قومى قوى ، وكانوا يشعرون بأنهم أوربيون ، ومع تقدم الوقت استفادوا من التعليم الغربى ليس من أوربا الكاثوليكية فقط ، ولكن أيضاً على أيدى المبشرين الأمريكيين البروتستانت. وبدافع من الشعور القومى ، أرسلوا وفداً من قبلهم إلى مؤتمر برلين مطالبين بتعيين حاكم عام مسيحى أسوة بلبنان التى استقلت ذاتياً فى عام ١٨٦١ لخدمة مصالحهم فى الولايات الشرقية . ورغم أن هذا الطلب لم يلق استجابة فى المؤتمر ، فإن الدول الأوربية اعترفت بحاجة الأرمن لتحسينات داخلية وإصلاحات فى ولاياتهم لضمان أمنهم ضد الجراكسة والأكراد . وطبقاً لبنود معاهدة برلين ، أُجبر الباب العالى على تحقيق هذه المطالب وتقديم تقارير دورية للدول الكبرى للتأكد من تطبيقها .

ولكن السلطان عبد الحميد كان عنيداً ، ورفض الانصياع للدول الأوربية ، وكل ما فعله هو تعيين نائب حاكم مسيحى فى كل إقليم من الأقاليم الأرمنية ، والذى كان فى الحقيقة دمية يُحركها السلطان لتنفيذ أوامره ويعزله وقتما شاء ، ولذلك عُرف بلقب كله سخرية وهو

*أستاذ مساعد ـ كلية الآداب
جامعة الإسكندرية

Evet Effendi أى نعم سيدى ، نظراً للطاعة العمياء التى تميز بها . وهكذا اتضح أن عبد الحميد ليس لديه النية لتطبيق الإصلاحات التى اقترحتها معاهدة برلين وعدم إعطاء الفرصة للسفراء الأجانب للتدخل فى شئون دولته بحجة تحسين أوضاع الأرمن ، بل أصبح الشئ الواضح هو أنه إذا قام أى مندوب من سفارة أجنبية بطرد موظف رسمى لسوء معاملته للأرمن، فإن السلطان كان يقوم بترقيته إلى منصب أكثر علواً . ووفقاً لشروط اتفاقية قبرص أُتخذت إجراءات من جانب إنجلترا وحدها ، فقد أرسلت الحكومة البريطانية قناصلها إلى الولايات الشرقية ، وجاءت تقاريرهم لتُؤكد حالة الظلم التى يتعرض لها الأرمن والتمييز الشديد فى المعاملة ضدهم من جانب السلطات المحلية وخاصة فى جمع الضرائب والإتاوات التى تُمارسها العناصر التركية الفاسدة . وفوق ذلك فى الأقاليم البعيدة المعزولة حيث السلطة التركية الضعيفة ، كان الأرمن يُعانون من قسوة رؤساء قبائل الأكراد ومن إغارات عصاباتهم ، واستدعت هذه الفوضى تعرضهم للسجن عن طريق الشرطة فى هذه المناطق . ولكن كانت اعتراضات الحكومة البريطانية لدى الباب العالى مثل سحابة دخان ، وكل ما تم من إجراءات كان عبارة عن نقل الموظفين الأكفاء فى كردستان وتوفير الأمان والرعاية لهم لإخلاصهم للسلطان.

وقد أثارت هذه المراوغات سفراء الدول الست الموقعين على المعاهدة، فقدموا مذكرة جماعية تنتقد الأوضاع وتُطالب بالإصلاح لتأمين حياة الأرمن وممتلكاتهم ، ولكن جاء رد الباب العالى مبهماً ومتجاهلاً للنقاط المحددة فى الشكوى ، إذ كان السلطان ينتقم من الهزائم التى لقيها على أيدى الأجانب على مائدة المفاوضات برفض أى دعم أجنبى لهؤلاء الرعايا المسيحيين الذين يعيشون داخل حدود بلاده ، ولم يتبق أمام الدول الأجنبية سوى التدخل المسلّح لصالح هؤلاء الرعايا .

وقد عبّر اللورد سولسبرى عن أسفه للفشل فى التوصل إلى حل مع السلطات التركية ، وحل محله جلادستون الذى لم يكن وضعه أفضل من سابقه ، ووصفت التقارير القنصلية الإصلاح التركى بأنه مجرد مسرحية هزلية حيث يجهل الموظفون الرسميون القراءة والكتابة . وفى عام ١٨٨٢ ضوعفت الجهود من جانب السلطات الأجنبية للحصول على الموافقة على خطة إصلاحية ، ولكنها واجهت الفشل هذه المرة من جانب بسمارك الذى عبّر عن استعداده للتعاون مع الإنجليز فى أية قضية باستثناء قضية فرض الإصلاحات الأرمنية على السلطان ، وهذا ما رفضه جلادستون . وقد حاول الأرمن من جانبهم الحصول على الإصلاح بالوسائل السلمية معلنين أنهم لا يرغبون إلا فى الحصول على الأمان الشخصى وأنهم لا يرغبون فى الخضوع لروسيا التى تُحاول فرض المذهب الأرثوذكسى عليهم ، ولكن دون جدوى، وساءت أحوالهم بمرور الوقت على أيدى جيرانهم المسلمين والحكومة العدوانية للسلطان.

لقد حان الوقت الآن للأرمن فى تركيا أن يُنظموا أنفسهم وفق أسس سياسية ، فبدأوا فى تشكيل جمعيات سرية قومية محلية بتأييد من أقرانهم الأرمن فى روسيا وتحديداً فى القوقاز لأنهم كانوا يمتلكون مفاهيم ثورية متقدمة عن الأرمن فى تركيا ، وهؤلاء سرعان ما انتشروا من منطقة الحدود إلى بعض المراكز مثل أرضروم وڤان بهدف إثارة الأرمن الأتراك للدفاع عن حقوقهم . وفى عام ١٨٨١ تكوّن تنظيم فى أرضروم باسم «حماة الوطن» للدفاع عن الشعب الأرمنى ضد الأكراد والأتراك ، وكان شعار هذا التنظيم «الحرية أو الموت» . وفى ڤان تأسس أول حزب سياسى أرمنى عام ١٨٨٥ وهو حزب الأرميناجان ، وانتشرت أفكاره من خلال القنوات الليبرالية فى الخارج والتى قادت إلى تأسيس «الجمعية القومية الأرمنية» فى لندن، وكان هدفها المطالبة بحق الأرمن فى حكم أنفسهم من خلال الثورة ، ولكن هذا التيار كان يعتمد على القوى العظمى لتحقيق أهدافه .

وفى عام ١٨٨٧ كوّن الأرمن المهاجرون تنظيماً آخر على نهج ماركسى فى چنيڤ ، ويُعد هذا أول حزب ثورى اشتراكى فى الإمبراطورية العثمانية ، وهدفه تأسيس دولة أرمنية اشتراكية موحدة تنبثق من الإقليم التركى ، وكان له

جريدة تصدر فى الخارج تحمل اسم الهنشاك وتعنى (الجرس) وهى التى أعطت الحزب اسماً رناناً وصدى واسعاً . والهنشاك حركة دولية لها قنوات منتشرة فى العواصم الأوربية وترتبط بوكالات فى أمريكا ، ولكن كانت فروعها فى القوقاز أكثر نشاطاً ونظمت إغارات داخل الإقليم العثمانى فى أرضروم عاصمة أرمينية التركية وفى بعض أحياء إسطانبول وغيرها من المراكز الحضرية التركية .

وقد بلغت هذه الأنشطة ذروتها بتأسيس اتحاد فيدرالى ثورى فى تفليس عام ١٨٩٠ حمل اسم Dashnaktsutiun وعُرف أتباعه باسم الطاشناق Dashnaks ، وكانوا وطنيين أكثر منهم اشتراكيين وانفصلوا عن الهنشاك، ولكن جمعهم هدفاً واحداً وهو الصراع المسلح للحصول على حرية أرمينية ، وصرّحوا بأن الأرمن يُطالبون بحقوقهم وسلاحهم فى أيديهم ولا يتوسلون أو ينتظرون العون من الغير ، وإنما سُيقررون مصيرهم بأيديهم.

وعندما تنبه السلطان لعصيان رعاياه الأرمن، لجأ إلى سياسة مخادعة بإثارة الفروق بين المسلمين والمسيحيين عن طريق استخدام الأكراد كقوة غير نظامية ضدهم فى عام ١٨٩١ وأطلق علها «الحميدية»؛ أى أتباع السلطان ، وبدأت بـ ١٥ ألف فارس ثم تزايدت بعد ذلك، وكانت تلفت الأنظار بملابسها وسيرها بخيلاء فى شوارع إسطانبول . وقد نشر أفراد هذه القوة الرعب فى أرمينية لأن مهمتهم الرسمية كانت قمع الأرمن وقمع أى عنف بشكل عام فى البلاد . وفى هذه الأثناء قام الثوار الأرمن بأعمال عديدة لإثارة ثورة المسلمين فى وسط وغرب الأناضول وخاصة فى عام ١٨٩٣ عن طريق وضع الملصقات على الحوائط التى تدعو المسلمين جميعاً للثورة ضد سياسة القمع السلطانية ، وكان رد فعل هذا الأسلوب إيقاف وحبس عدد كبير من الأرمن فى الأناضول مما أدى إلى تراجع المقاومة الأرمنية المنتظمة ، واُتخذت هذه الفوضى ذريعة مناسبة فى عام ١٨٩٤ لتدبير مذبحة أثيمة للأرمن بناء على أوامر السلطان .

لقد استغلت السلطات التركية مسألة الجزية والضرائب التى كان يفرضها رؤساء قبائل الأكراد فى إقليم ساسون جنوب موش بهدف حماية الأرمن ، وطالبت بدفع المتأخرات منها ، وعندما رفض الأرمن دفع النوعين من الجزية التى أخذت شكل الابتزاز التهديدى تم استدعاء الفصائل التركية باتفاق مسبق مع القبائل الكردية ، وسرعان ما قاموا بمذابح ضد الشعب الأرمنى فكان الجنود يُلاحقونهم بطول البلاد وعرضها ويقتنصونهم مثل الوحوش الكاسرة فى الوديان والجبال ولا يحترمون استسلامهم ، ويضربون الرجال بالحراب حتى الموت ، ويغتصبون النساء ويصدمون الأطفال فى الحجارة ويحرقون القرى التى يلجأ إليها الفارون من هذه المجزرة ، وفى النهاية تمت ترقية زكى باشا القائد التركى على هذه العملية ونال مكافأة مجزية .

وقد أثارت أنباء هذه المذبحة التى تسرّبت إلى أوربا برغم احتياطات الباب العالى استياءً كبيراً بين الدول الأوربية، فطالبت القوى العظمى الثلاث ـ بريطانيا وفرنسا وروسيا ـ بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق . وقد برر السلطان المذبحة بالسلوك الإجرامى لقطاع الطرق الأرمن فى عام ١٨٩٥ وطلب المزيد من التقصى لإثبات صحة تبريراته . وتلى ذلك عقد اجتماعات موسّعة فى لندن وباريس من جانب الدول الثلاث لوضع خطة للإصلاح الأرمنى ثم عُرضت على السلطان فتظاهر بالموافقة عليها . وفى نفس الوقت ، قام الأرمن يقودهم الهنشاك بمسيرة عبر مدينة إسطانبول لتقديم التماس إلى الباب العالى يتضمن مطالبهم فى الإصلاح ، ورغم نصائح البطاركة لهم بالهدوء فقد أصبح من العسير السيطرة عليهم ، وقد صاح أحدهم وهو من إقليم ساسون قائلاً : «الحرية أو الموت» وردد الباقون مثله ، فتدخلت الشرطة وضربت العديد منهم بالهراوات حتى الموت ، وساعدتها العناصر الإسلامية المتعصبة التى أسهمت فى ذبح الأرمن ، واستمر هذا العنف والإرهاب لعشرة أيام حتى لجأ الأرمن إلى الكنائس للاحتماء فيها ،

كما حاولوا اللجوء إلى السفارات الأجنبية ، ولكنها اشترطت عليهم عدم حمل السلاح . وتزامن مع تلك الأحداث وقوع مذبحة فى طرابيزون ، وكان الأرمن يفرون منها إلى البحر فكان الأتراك يقومون بإغراقهم حتى قُتل منهم ما يقرب من ألف رجل وأُحرقت منازلهم وسُلبت حوانيتهم . وهكذا كانت هذه الحملات المنظمة الرسمية فى المراكز الأرمنية الشرقية بأوامر من السلطان متزامنة مع موافقته الظاهرية بخطة جديدة قدمتها الدول الأجنبية للإصلاح .

وكانت سياسة السلطان تجاه الأرمن تقوم على إشعال الفتنة والتعصب الدينى بين المسلمين ، فكان نواب السلطان يقومون بجمع المسلمين فى أكبر مساجد المدينة ثم يُعلنون أن الأرمن يهدفون إلى ضرب الإسلام وأن على المسلمين الصالحين الدفاع عن عقيدتهم ضد هؤلاء الثوار الملحدين، ويُشجعونهم على نهب ممتلكات الأرمن والإثراء على حسابهم وإذا قاوموا ينبغى قتالهم أو أن يعرضوا عليهم تحت تهديد السلاح الاختيار بين الموت أو التحول قسراً إلى الإسلام ، وكان هذا البديل يتناسب مع الأسر التى تعيش فى القرى وتعجز عن المقاومة . وكان شاكر باشا هو المسئول الأول عن هذه العمليات ، فقد كان من أكثر مستشارى السلطان عدواناً وسبق أن عمل كسفير فى سان بطرسبرج ، وكان مركزه الصورى هو «مفتش لبعض أقاليم تركيا الآسيوية» ، وأخذ على عاتقه تنفيذ خطط السلطان وإقامة المذابح فى كل المواقع وإبادة الأرمن ونزع ملكية أراضيهم لحساب الأتراك المسلمين . وكانت كل عملية تسير على النموذج التالى : النداء فى الأبواق ثم دخول القوات التركية إلى المدينة بهدف الذبح ووصول قبائل الأكراد بهدف النهب والسرقة ثم إشعال الحرائق والتدمير وملاحقة الهاربين فى الأراضى والقرى المحيطة ، وشهد شتاء عام ١٨٩٥ قتل أكبر عدد من الشعب الأرمنى بما يُعادل عُشر السكان وتدمير ممتلكاتهم فى عشرين إقليماً فى شرق تركيا مع نشر الإشاعات بأن الأرمن سيقومون بقتل المسلمين إذا لم يسبقوا إلى هذا العمل . وبلغ مجموع الضحايا ما بين ٥٠ و ١٠٠ ألف بخلاف الجرحى وضحايا الأمراض والجوع . وفى المدن الكبرى وصلت أعداد القتلى إلى أربعة أضعاف هذا الرقم ، ففى أرضروم وحدها تم نهب ١٠٠٠ حانوت ودُفن ٣٠٠ أرمنى فى مقبرة جماعية .

وكانت أبشع هذه المذابح هى مذبحة أورفا (الرها) التى كان يُشكل فيها الأرمن ثلث السكان ، فبعد حصار دام شهرين لحى الأرمن وبعد أن لجأ القادة الأرمن إلى الكاتدرائية طلباً للحماية من الأتراك فوعدوهم بالأمان ، ثم قاموا بحركة غادرة بالالتفاف حول الكاتدرائية بفصائل من الجيش وفى ذات الوقت أضرموا النيران فى الحى الأرمنى ونهبوا المنازل وقتلوا جميع الذكور البالغين بطريقة بشعة . وفى اليوم التالى ، دخلت جماعات كبيرة منهم إلى الكاتدرائية منتهكين حرمتها لعمل مذبحة وهم يصرخون بعبارة تسخر من المسيح ، وقتلوا حوالى ٣٠٠ لاجئ وأشعلوا النيران فى جثثهم . وفى عصر نفس اليوم أعلن نفير البوق انتهاء المذابح التى راح ضحيتها حوالى ٨٠٠٠ شخص .

وفى منطقة واحدة فقط كان الأرمن هم المعتدون البادءون بالشر فى زيتون الواقعة فى إقليم قيليقية Cilicia سابقاً حيث قامت قوة من الهنشاك بالهجوم وهزمت فرقة تركية وطردت الحامية من قلعة زيتون وأسرت ٤٠٠ تركى وقامت بنهب وحرق المدن التركية المجاورة ، فتقدم الأتراك بجيش كبير وقذفوا قلعة زيتون بالقنابل بعد أن قام الأرمن بإخلائها ، وأضرموا فيها النيران . وهنا دعت الجالية الأرمنية فى إسطانبول إلى التدخل بواسطة السفراء الأجانب من أجل التوصل إلى اتفاق يقوم على أساس تسليم جميع الأطراف سواء أرمن أو أتراك الأسلحة فى مقابل منحهم العفو العام .

وفى أغسطس ١٨٩٦ قامت مجموعة صغيرة من الطاشناق بجرأة باقتحام البنك العثمانى قلعة الرأسمالية الأوربية خلال الظهيرة بزعم تبديل نقود ، وكان معهم رجال يحملون أكياساً ضخمة ، كما ادعوا ، تحوى عملات فضية وذهبية ، وأطلقوا النيران من بنادقهم ، واتضح أن هذه

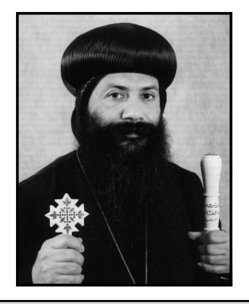
الأكياس مليئة بالمفرقعات والذخيرة . وأعلنوا أنهم لا يقصدون سرقة البنك وأنهم وطنيون يرغبون فى عرض مطالبهم على السفارات الأوربية الست التى ضمّنوها فى ملفين كبيرين وخاصة مطالب الإصلاح السياسى ، وأعطوا مهلة ٤٨ ساعة لإجابة مطالبهم وإلا سيقومون بنسف البنك، وسرعان ما هرب مدير البنك السير إدجارڤينسنت من خلال شباك فى السقف يُؤدى إلى مبنى آخر بينما تم احتجاز زملائه كرهائن ، ثم تقدم إلى الباب العالى مطالباً بعدم اتخاذ أية سياسة هجومية ضد الطاشناقيين طالما هم فى داخل البنك . وتم إرسال الترجمان الأول للسفارة الروسية للتفاوض معهم وأقنعهم بمغادرة البنك ثم حملهم يخت خاص بمدير البنك منفيين إلى فرنسا .

وفى اليومين التاليين، انتشرت عصابات الجماعات الدينية المتعصبة فى الحى الأرمنى فى إسطانبول ومعهم الهراوات والسكاكين والقضبان الحديدية، وبدون تدخل من الشرطة ، وقتلوا كل أرمنى فى الطريق وكذلك الذين اختبأوا فى المنازل وتركوا الجثث فى كل مكان والتى بلغ عددها ٦٠٠٠ جثة . وفى اليوم التالى للمذبحة احتج سفراء الدول الأوربية الكبرى لدى الباب العالى وأرسلت إنجلترا سفنها لحماية رعاياها ، فصدرت الأوامر بوقف العنف ، ثم أرسل ممثلو الدول الكبرى برقية إلى السلطان يطلبون نهاية فورية للمذابح مع التهديد بأن استمرارها يُشكل خطراً على عرشه وأسرته الحاكمة . وبعد ذلك أرسلوا ملاحظاتهم إلى الباب العالى بأن ما حدث لم يكن عمليات متعصبة تلقائياً بل نتاج قوة تعمل بمساعدة السلطات ، وأن عملياتها جاوزت الحدود ولابد من البحث عنها ومعاقبتها بالقوة ، أى أنهم ألمحوا إلى أن عبد الحميد كان المحرِّض على هذه المذابح . وقابل السلطان هذه الملاحظات بالمراوغة والوعود بضرورة محاكمة الطرفين فى محكمة خاصة ، وقامت السلطات التركية فى محاولة للاسترضاء بحملة اعتقالات بين الرعاع الذين كانوا يُذعنون للسلطان .

وارتفعت الأصوات من جديد فى بريطانيا تُطالب بعزل السلطان، وقام جلادستون (وكان فى سن الثامنة والستين) بعد اعتزاله العمل وخرج من عزلته ليُلقى خطبة أخيرة فى ليڤربول ضد «الأتراك الهمجيين» الذين تستحق إمبراطوريتهم الشطب من خريطة العالم لأنهم خزى على الحضارات ولعنة على الجنس البشرى ، ووصف السلطان بأنه «عبد الحميد السفاح» ، بينما وصفه الفرنسيون بالسلطان الأحمر، وأصرّ جلادستون على أن تتدخل إنجلترا عند الضرورة منفردة ضد الباب العالى وفق بنود اتفاقية قبرص . ورغم أنه فى البداية كانت هناك مفاوضات حول إرسال الأسطول الإنجليزى إلى الدردنيل ، فإنه سرعان ما اتضح أنه لم تكن هناك أية دولة مستعدة لاستخدام القوة من أجل الأرمن كما ظهر فى حديث اللورد سولسبرى وتلميحاته للسلطان عبد الحميد .

وبرغم أن سولسبرى اهتم بالتأييد الروسى لفكرة عزل السلطان ، فإنه لم يكن مستعداً للتنازل عن مسألة المضايق ، كما أن روسيا من جانبها لم تستغ فكرة أرمينية المستقلة مكتفية بالدور الذى تلعبه دولة بلغاريا الحديثة فى أوربا . أما النمسا والمجر فقد كانت متورطة فى البلقان ، وفرنسا مهتمة باستثماراتها فى الدولة العثمانية وتُفضل الحالة الراهنة ، وألمانيا تأمل فى الحصول على امتيازات فى آسيا الصغرى وتقوم بدور المحامى للسلطان ، ومن ثم فقد وصلت أفكار تقسيم الإمبراطورية العثمانية أو فرض نوع من الوصاية على أقاليمها إلى طريق مسدود ، كما فشل مؤتمر عام ١٨٩٧ فى فرض خطة إصلاحية على الباب العالى لمساعدة الشعب الأرمنى التعيس . ومرة أخرى مُنحت الإمبراطورية العثمانية فرصة جديدة للبقاء بفضل التشتت والتفكك الذى ساد الدول الأوربية ، ولكن التصرفات غير الإنسانية التى كان يقوم بها عبد الحميد أكسبته خزياً أزلياً فى عيون العالم المتحضر* .

* المقال مأخوذ من كتاب : .The Ottoman Centuries, The Rise and Fall of The Turkish Empire
تأليف : John Patrick Kinross (Lord Kinross)



# الأرمن فى مصر
## منذ القرن الحادى عشر حتى بداية العصر العثمانى

بقلم : الأنبا مارتيروس

اشتركت الكنيسة الأرمنية مع الكنيسة القبطية فى إيمان واحد تم تأكيده تماماً عندما انعقد المجمع المقدس لأساقفة الأرمن بقيادة البطريرك بابكين عام (٥٠٦م)، حيث تقرر فيه الاعتراف بإيمان مجمع أفسس سنة (٤٣١م) وشجب التعليم النسطورى وأعمال مجمع خلقيدونية (٤٥١م) المشئوم والاعتراف بتعاليم البابا كيرلس عمود الدين الأول (٤١٢م ـ ٤٤٤م) . وبذلك انضمت الكنيسة الأرمنية إلى عائلة الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية وهم أصحاب الإيمان بالطبيعة الواحدة. وجاء القرن الحادى عشر ليُجدد وثيقة الإيمان المشترك بين الكنيسة الأرمنية وكنيسة الإسكندرية، ثم ظهور أول بطريرك للكنيسة الأرمنية فى مصر، وهو البطريرك «أغريغوريوس» عام (١٠٨٠م)، ووضع وثيقة للإيمان المشترك وقّع عليها كل من الأقباط والأرمن والسريان والأحباش والنوبيين، وكان ذلك فى حبرية البابا «كيرلس الثانى» .

### الحياة الدينية للأرمن فى مصر

نظراً لتوافد أعداد كبيرة من الأرمن إلى القطر المصرى، وظهور نفوذهم السياسى بتولى كبرائهم فى أعلى المناصب فى الدولة، بل أحياناً كان الحكم الفعلى فى مصر فى أيدى الأرمن، كل ذلك كان بمثابة التأكيد على الدور الرعائى للكنيسة الأرمنية لرعاياها الذين انتشروا فى القاهرة والجيزة والدقهلية والفيوم والقليوبية والغربية والمنوفية وأسيوط والمنيا وبنى سويف حتى أن الأب البطريرك الإسكندرى كان قد تنازل فى أحيان كثيرة عن بعض الكنائس والأديرة ليُتيح لهم الفرصة لإقامة شعائرهم الدينية وممارسة طقوسهم الخاصة . وكان كبار الأرمن يقومون بترميم وتجديد الكنائس والبيع ـ بل إن البطريرك أغريغوريوس بطريرك الأرمن فى مصر، سعى لكى يأخذ دير مار جرجس بطرا ، وبالفعل نال مراده بمساعدة بدر الجمالى أمير الجيوش، وأيضاً ديرىّ البساتين والزهرى ، وكان ذلك فى حبرية البابا «كيرلس الثانى» البطريرك رقم (٦٧).

على أية حال، شارك الأرمن بقيادة البطريرك «أغريغوريوس» فى التوقيع على وثيقة الإيمان المشترك والاعتراف بقانون الإيمان النيقاوى مع الأحباش والسريان والنوبيين والأقباط، وعُرف هذا الأمر حتى وصل إلى مسامع الآباء الرهبان بوادى النطرون، وفرح الجميع بهذا الاتحاد، وكان الرهبان الأرمن منتشرين فى القاهرة، بديرىّ البساتين والزهرى وفى وادى النطرون وفى الدير الذى بأبنوب الحمام، حيث كانوا يعيشون فى حياة شركة روحية.

والجدير بالذكر أن البطريرك «أغريغوريوس» قد شارك

الأسقف العام لكنائس
شرق السكة الحديد

فى تعيين أحد الأساقفة الجدد ، ذلك لما خلا كرسى مصر بنياحة الأسقف «سنهوت» رغب الأقباط فى إقامة الراهب «يوأنس بن سنهوت» على مصر، وكتبوا إلى البابا «مكاريوس» بذلك ، فوافق على أن ينوب عنه البطريرك أغريغوريوس الأرمنى فى اختيار أمانة وصلاحية هذا الراهب والكشف عن حاله وعمله، فلما علم بذلك أنبا أغريغوريوس أرسل إلى هذا الراهب واستدعاه إلى مصر، وأقام عنده أياماً فوجده «كما يجب فى كل ما يحتاج إليه منه» ، وأمر بتعيينه أسقفاً لمصر .

ويُذكر أنه بعد أن طُرد الأرمن من مصر فى عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) وتُركت كنائسهم وأديرتهم حيث استردها الأقباط، كان قد وصل من بلاد الأرمن أحد الآباء الأساقفة، ومعه ثلاثة قسوس من قبل بطريرك الأرمن فى أرمينية وملك الأرمن، أرسلاه بتقليد منهما وكتابين من الملك صلاح الدين والملك سيف الدين أبو بكر أخيه ذلك إلى الملك تقى الدين بمصر يُؤكدان فيه بتكريم الأسقف والكهنة معه وتسليمه ديرىّ البساتين والزهرى حيث كانا للأرمن، وقد نزل هذا الأسقف ومن معه فى كنيسة يوحنا المعمدان بحارة زويلة، ووجدت معارضة من أحد الأراخنة الأقباط ويُدعى «الفقيه الطوسى» فأقام الأسقف عدة شهور ومات ودُفن فى كنيسة الأرمن بالزهرى.

**الكنائس الأرمنية فى مصر**

١ ـ مذبح للأرمن بإحدى كنائس الفهادين بالظاهر قام بعمله البابا مرقس بن زرعة ومعه الكهنة والشعب (على ما يُظن قام بتدشينه وتخصيصه لطائفة الأرمن).

٢ ـ كنيسة فى حارة الحسينية كانت مجاورة لكنيسة على اسم السيدة العذراء.

٣ ـ كنيسة على اسم الشهيد العظيم مار جرجس بالقاهرة، وقد حُولت إلى مسجد فى الخلافة الحاكمية (الحاكم بأمر الله) . ويُذكر أن فيضان نهر النيل قد لحق بها واندثرت.

٤ ـ كنيسة بدير الخندق (منطقة أنبا رويس حالياً) قام بإنشائها رجل يُدعى سركيس (سرجيوس) كان من الأرمن ، وكان يتولى وظيفة حامى المناخات فى الخلافة الظافرية (الملك الظافر) ووزارة على بن أساسلار الديلمى.

٥ ـ كنيسة القديس مكاريوس بالقاهرة كانت سابقاً للأقباط، ولكنها تحولت إلى الأرمن بطلب خاص من البطريرك أغريغوريوس بطريرك الأرمن، والذى جاء إلى مصر وطلب من بدر الجمالى الأرمنى أمير الجيوش أن يمنحه هذه الكنيسة وكان ذلك فى عهد البابا كيرلس البطريرك (٦٧) والخلافة المستنصرية (أى وقت حكم المستنصر لدين الله الفاطمى) وجعلها البطريرك أغريغوريوس على اسم مار جرجس وكانت تُستخدم لتخزين القرط (ربما التبن).

٦ ـ مذبح خاص بالأرمن بكنيسة السيدة العذراء بمدينة قويسنا بالمنوفية.

٧ ـ كنيستان ببلدة «طناح» مركز المنصورة بالدقهلية ، الأولى على اسم مار جرجس ، والأخرى اهتم ببنائها الوزير تاج الدولة بهرام كبير الأرمن.

٨ ـ كنيسة فى بلدة «دموه السباخ» مركز دكرنس دقهلية.

٩ ـ كنيسة فى «منية شها » دقهلية .

١٠ ـ كنيسة فى البرمونين (البرامون) مركز المنصورة دقهلية.

١١ ـ كنيسة على اسم مار جرجس فى وسط بلد «ميت النصارى» مركز دكرنس دقهلية.

١٢ ـ كنيسة فى بلدة «البهو فريك» مركز أجا دقهلية.

١٣ ـ كنيسة فى شرنقاش دقهلية.

١٤ ـ عدد ثلاث كنائس فى بلدة «دجصت الغربية» (وهى ديسط مركز طلخا دقهلية) .

١٥ ـ كنيسة فى بلدة «فيشة» بمركز منوف (منوفية).

١٦ ـ كنيسة فى أطفيح بالجيزة على اسم مار جرجس.

١٧ ـ كنيسة فى قلوصنا مركز سمالوط محافظة المنيا.

١٨ ـ عدد سبعة كنائس ببلدة سبزى (شنزا) مركزالفشن بنى سويف.

١٩ ـ مذبح خاص بالأرمن على اسم الشهيد مار جرجس فى كنيسته ببلدة «سقط ميدوم» ناحية سقط الشرقية مركز الواسطى بنى سويف.

٢٠ ـ كنيسة القديس «ميناس» بحى كوم الأرمن بالقاهرة.

### الحركة الرهبانية الأرمنية فى مصر

لاشك أن الرهبنة المصرية جذبت إليها الكثير من راغبى الحياه الرهبانية من خارج القطر المصرى (سريان وأحباش وفلسطينيين ويونان وأرمن ولاتين وسكان شمال أفريقيا وكان لكل عائلة معلم من جنسه) . وكما أن الأنبا أنطونيوس هو أب جميع الرهبان ليس فى مصر فقط بل فى العالم كله، هكذا فإن الرهبنة المصرية هى الأم لرهبانيات العالم كله. فجاء إليها الكثير من راغبى الحياة الفكرية من مختلف مناطق العالم لكى يتتلمذوا للآباء المصريين ويعيشوا تحت تدبيرهم الرهبانى ، ويتعايشوا فى وسطهم ويختبروا عذوبة هذه الحياه الملائكية . وفى إشارة واضحة لذلك جاء فى السيرة المخطوطة للقديس مكاريوس الكبير ما ذُكر ....

### فى القرن الرابع الميلادى

لقد جاء العديد من الرهبان الأرمن إلى مصر فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين وأثناء الحكم البيزنطى، منحدرين من أرمينية وأورشليم لينضموا إلى الآباء النسَّاك الأقباط فى حياتهم الصحراوية المنعزلة، ذلك فى موقع الرهبنة الشهير «نتريا» . ويعتقد الكاتب أن هناك أكثر من سبب لتوافد العنصر الأرمنى إلى مصر، فبالإضافة إلى التشوق لممارسة الحياة الرهبانية فى مصر، ولكن ربما هناك سبباً آخر وهو هروب الأرمن أصحاب الإيمان بعقيدة الطبيعة الواحدة من التيار البيزنطى الجارف وتبنى معتقد الطبيعتين .

### فى القرون الوسطى

كلما تكاثرت الجماعات والأديرة الرهبانية المصرية خاصة حول مغارات القديسين التى كانوا يتعبدون فيها ، كلما تكاثر معها الاستيطان الرهبانى الأرمنى، وفى القرن الحادى عشر الميلادى، عندما وفد البطريرك أغريغوريوس الأرمنى إلى مصر قام ولأول مرة بزيارة صحراء طيبة ليتبارك بالآباء المصريين المتوحدين هناك، وليتعرف على نُظم الحياة الرهبانية وقوانينها وأصول التلمذة، ولكى ما يجمع تعاليم الآباء ويجعلها كقوانين تُتبع وسط الأرمن، وفى احدى المخطوطات (مذكرات متى الذى من أديسا) جاء فيها أن البطريرك أغريغوريوس انطلق إلى القسطنطينية، ومن هناك اتجه إلى روما (عاصمة إيطاليا) ثم عبر إلى مصر حيث زار البرية فى الأسقيط (منطقة وادى النطرون)، والذى كان يسكنه الآباء القدامى وهناك أكمل اشتياق قلبه .

ونظراً لنمو النفوذ الأرمنى فى مصر فى القرن الحادى عشر، كان ذلك مدعاة حقيقية لظهورالترابط الوثيق والملموس بين الكنيسة القبطية والكنيسة الأرمنية، فقد تنازلت الكنيسة القبطية للأرمن عن كثير من الكنائس والأديرة، ليتسنى لهم ممارسة الحياه الكنسية والرهبانية وفق ثقافتهم الموروثة .

ومن أجل طلب أمير الجيوش بدر الجمالى الأرمنى والذى كان يُعتبر حاكم مصر فى هذه الآونة ، تنازل البابا كيرلس عمود الدين عن دير بمنطقة البستان بالجيزة، ودير بالزهرى بالقاهرة لرهبان الأرمن، بل أعطى لهم ديراً فى أبنوب الحمام بأسيوط ، وأعطى ديراً لهم فى وادى النطرون سكنه رهبان الأرمن، وكان الرهبان الأرمن مندمجين اندماجاً كاملاً فى الحياة الرهبانية المصرية مثلهم مثل السريان والأحباش والنوبيين، حتى أن التاريخ ترك لنا «مخطوطة متعددة اللغات، وهى لمزامير معلمنا داود النبى

قُسمت كل صفحة فيها إلى أنهار للغات وهى الأرمنية والعربية والقبطية والسريانية والحبشية، وأن كتابتها ترجع إلى وجود جماعة أرمنية رهبانية منظمة، ومن خلال المعطيات التاريخية، فإنه يرجع تاريخ كتابتها إلى نهاية القرن الحادى عشر والثلثين الأولين من القرن الثانى عشر الميلادى على وجه التقدير، وذكر أن راهباً أرمنياً وصفه تاريخ البطاركة لساويرس أنه كان قديساً يُدعى (مناكيس) جاء إلى الإسقيط بوادى النطرون فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى تقريباً، وتقابل مع أحد القديسين الرهبان يُدعى القديس بيسوس (أى بيشوى باللغة القبطية)، وكان يعيش بدير القديس يوحنا كاما (يحنس كاما القس فى القرن التاسع الميلادى)، وقد أُعجب القديس بيسوس بقداسة الراهب مناكيس الأرمنى، لأنه اشتهر أمره بين المصريين.

وعندما قام البابا غبريال البطريرك رقم ٨٦ ( ١٣٧٠ ـ ١٣٧٨م) بزيارة وادى النطرون لعمل الميرون المقدس بدير القديس مكاريوس، تقابل هناك مع الرهبان الأرمن وزار ديرهم حيث أنه ...

ـ فى يوم الثلاثاء بعد أحد القيامة وصل قرب دير القديس يوحنا القصير فخرج للقاؤه رهبان الدير ورهبان دير الحبش (الأثيوبيين) ورهبان دير الأرمن بالمجامر والصلبان والأناجيل.

ـ بعد عمل قداس الأربعاء فى دير القديس يوحنا القصير ركب (الدواب) متوجهاً إلى دير بانوب ودير الحبش ودير الأرمن.

ـ بعد ذهابه إلى دير البرموس ودير موسى توجه إلى دير العذراء السريان ثم عاد إلى دير أنبا يحنس كاما فاستقبله رهبان الدير المذكور ورهبان دير الأحباش ورهبان دير الأرمن.

**أديرة الأرمن فى مصر**

نظراً للأعداد الكبيرة من الأرمن والمهاجرة إلى مصر فى القرن الحادى عشر الميلادى، كان الأقباط يضطرون إلى التنازل عن بعض الكنائس والأديرة لإخوتهم الأرمن، حتى يتسنى لهم إقامة الشعائر الدينية حسب طقوسهم الخاصة، مادام أن الإيمان واحد بينهما ، وأيضاً لمساعى بطاركة الأرمن وأراخنتهم عند السلطة الزمنية، وعلى ما يبدو أن بطريركية البابا كيرلس الثانى، تنازل فيها البابا عن بعض الكنائس والأديره للأرمن، كما حدث فى دير مار جرجس بطرا والذى تنازل عنه البابا كيرلس الثانى للأرمن تحت ضغوط البطريرك أغريغوريوس بطريرك الأرمن الذى جاء لزيارة مصر، وقام بمساعى ناجحة لدى أمير الجيوش بدر الجمالى الأرمنى لأخذ هذا الدير، ولكن تم استرجاع هذا الدير للأقباط فى عهد البابا مرقس بن زرعة الثالث والسبعين، وأيضاً كنيسة القديس مكاريوس الذى تنازل عنها البابا كيرلس الثانى بنفس الطريقة السابقة وجعلها الأرمن باسم الشهيد مار جرجس ، وعلى هذا السياق أيضاً تم وضع أيدى الأرمن على دير فى منطقة البساتين بجنوب القاهرة، وأصبح سكنى للبطريرك أغريغوريوس الأرمنى وبعض رهبانه من الأرمن، ودير آخر يُطلق عليه دير الزهرى، وقد تم استعادة هذين الديرين أيضاً بعد أن ضعفت شوكة الأرمن، ونفوذهم فى مصر عام ( ٨٩٢ ش/ ١١٧٦م) .

**الأديرة التى سكنها الأرمن فى مصر**

١ ـ دير على اسم الشهيد مار جرجس بطرا.

٢ ـ دير فى البساتين فى جنوب القاهرة به كنيسة على اسم مار يعقوب.

٣ ـ دير فى الزهرى بالقاهرة .

٤ ـ دير فى «الخصوص» بناحية الحمام مركز أبنوب محافظة أسيوط.

٥ ـ دير الأرمن فى صحراء وادى النطرون ، وقد ذكره المؤرخ المقريزى فى خططه وأشار أنه يقع ضمن مجموعة من الأديرة والمنشوبيات فى منطقة دير القديس يوحنا القصير، وهذه المنطقة قد اندثرت وهجرها

رهبانها فى مطلع القرن السادس عشر، وانتقلوا إلى الأديرة العامره الآن بوادى النطرون، وذكر المقريزى عن دير الأرمن قوله : «دير الأرمن قريب من هذه الأديرة وقد خرب» .

**الحكام الأرمن فى مصر**

أصبح السلطان الفعلى فى أيدى الأرمن فى مصر بتولى الوزير بدر الجمالى الأرمنى أمير الجيوش، وكان ذلك فى حكم الدولة الفاطمية حيث توارى الخلفاء فى الظل ، وقام الوزراء الأرمن بدور كبير فى الحياة السياسية للدولة الفاطمية، حتى سُمى النصف الثانى من القرن الحادى عشر بـ (العهد الأرمنى) . وقد ضعف هذا النفوذ لأسباب سياسية وعرقية وهى :

أ ـ سقوط الدولة الفاطمية وحلول الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبى .

ب ـ الانقلاب العسكرى الذى قام به والى الغربية ويُدعى رضوان الولخشى حيث هاجم القاهرة وطرد بهرام الوزير الأرمنى، وكان ذلك فى عهد الخليفة الحافظ. ويذكر لنا التاريخ موضوع الحكام والوزراء الفعالين، والذين قاموا بأدوار فعالة فى التوجهات السياسية فى مصر وهم :

١ ـ الوزير بدر الجمالى الأرمنى أمير الجيوش كانت فترته (١٠٧٠ ـ ١٠٩٤م).

٢ ـ الوزير الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى (١٠٩٤ ـ ١١٣١م).

٣ ـ الوزير بهرام الأرمنى (١١٣٥ ـ ١١٣٧م).

٤ ـ الوزير طلائع بن رزيك الأرمنى (١١٥٤ ـ ١٦١١م).

٥ ـ الوزير رزيك بن طلائع ( ١١٦١ ـ ١١٦٣م).

٦ ـ الوزير شرف الدين قراقوش ( ١١٧١ ـ ١١٩٣م) فى عهد الدولة الأيوبية .

٧ ـ الوزير محافظ الدين أبى الفرج وزير السلطان الظاهر برقوق فى عهد الدولة المملوكية.

٨ ـ الوزير تاج الدين عبد الرازق.

٩ ـ الملكة شجر الدر كانت أرمنية الأصل.

**المتاعب التى قابلت الكنيسة الأرمنية فى مصر**

لقد صاحبت الاضطرابات السياسية وحالات عدم الاستقرار جماعات الأرمن فى مصر وكيانهم الدينى، فكان لانعكاس الصراعات السياسية والعرقية تأثيرها المباشر على ضمان استمرارية الكيان الأرمنى الكنسى، فقد حدث وقت هجوم الأيوبيين بقيادة صلاح الدين الأيوبى على مصر وزوال حكم الدولة الفاطمية وظهور الدولة الأيوبية، وأيضاً حدوث حريق هائل فى القاهرة وتمرد العامة والغوغاء على الكنائس فى القاهرة (كان ذلك فى أيام الحافظ) فإن ذلك انعكس على الكنيسة الأرمنية فى مصر، فقد رحل البطريرك أغريغوريوس بطريرك الأرمن إلى أورشليم حاملاً معه خمسة وسبعين كتاباً ذلك فى يوم ١٥ هاتور سنة (٨٨٨ ش ١١٧٢/ م) وأنشأ فى أورشليم دير وفيه كنيسة على اسم سرجيوس وواخس، وسكن معه عشرون راهباً أرمنياً (ربما رحلوا معه من مصر)، ولم يترك مكانه فارغاً بل ترك نائباً عنه فى مصر بالقاهرة أحد الكهنة القسوس وشماس معه لإقامة القداسات بكنيسة يوحنا المعمدان بحارة زويلة (حيث كان المقر الثانى لسكن البطريرك بعد أن هجر دير البساتين)، وتنيح هذا البطريرك فى أورشليم وعمره ثمانين سنة، وبالتالى تحت هذا الضعف وانتهاء النفوذ الأرمنى فى عصر الدولة الفاطمية تم استرجاع ديرىّ البساتين والزهرى وكنائس أخرى لتكون تحت الرعاية القبطية، ويُذكر أن وقت هذا الهجوم فى سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) استشهد كثير من الأرمن على اسم المسيح ، ويذكر أبو المكارم هذا الأمر بقوله : «وخربت كنيسة الأرمن فى أيام الغزو عند إخراج الأرمن من القاهرة، وقُتل معظمهم بالسيف على اسم المسيح فى ذى الحجة (٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م) والقبة (التى للكنيسة) أقامت مدة كبيرة وخربت»، وكان ذلك لأن

صلاح الدين الأيوبى بدأ باضطهاد الأرمن لكونهم كانوا من المخلصين للفاطميين ، بل إنه سرّح جيشهم.

ويُذكر أنه تمت رسامة بطريرك أرمنى وأسقف أرمنى بواسطة البابا غبريال بن تريك (١١٣١ ـ ١١٤٥م) لرعاية الأرمن فى مصر وذلك تحت ضغط جماعات الأرمن، وكان خوفاً من معارضة الكنيسة الأرمنية له رفض، ولكنه اضطر إلى وضع يده ليقيم البطريرك والأسقف تحت ضغط وإصرار الأرمن. كما قال المؤرخ منسى يوحنا: «أن البابا امتنع فى بادئ الأمر ولكنه لما رأى إصرارهم لبى طلبهما ورسّمهما» فرسّم البطريرك أغريغوريوس (الثانى) والأسقف تاج الدولة بهرام لمدينة أطفيح بالجيزة ، ويُذكر أن تاج الدولة بهرام رفض مؤثراً الحياة الرهبانية، وكان البطريرك أغريغوريوس سابقاً أسقفاً لأطفيح، ويذكر أن هذا البطريرك قد هرب إلى أورشليم وقت الحريق الهائل الذى اندلع بالقاهرة سنة( ١١٦٨م) والتجأ إلى إحدى الكنائس بأورشليم، وذُكر أن ثمة مراسلات متبادلة بين بابا الإسكندرية وبطريرك كل من السريان والأرمن، فقد أرسل البابا كيرلس الثالث (ابن لقلق) (١٢٢٦ ـ ١٢٣٣م ) خطاباً إلى كل من بطريرك أنطاكية وبطريرك الأرمن فى أورشليم، حيث كانا فى زيارة لمدينة أورشليم يشرح فيه السبب المباشر فى سيامة أسقف ليرعى الجالية القبطية فى القدس ويقول لهما : «ورسّمتُ لهم مطراناً، لكى يُرسِّم لهم الكهنة بدوره حرصاً على سلامتهم الروحية ، وليس عملى هذا بغريب فأنتم لكم مطران فى مصر يرعى الشعب السريانى المقيم بيننا مع أننا جميعاً أرثوذكس ، وهذا ما يفعله البطريرك الأرمنى أيضاً».

## تذبذب التواجد الأرمنى فى مصر

لقد ظهر التواجد الأرمنى فى مصر بقوة خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر، نظراً لهرب العديد من الأرمن إلى مصر بسبب زحف السلاجقة وهجومهم على أرمينية. ويذهب المؤرخون إلى أن الوزير بدر الجمالى الأرمنى، والذى أصبح أميراً للجيوش والسلطان الفعلى فى مصر حيث توارى الخلفاء الفاطميون فى الظل، فقد زاد أعداد الأرمن فى عهده ، بل رسّخ تواجدهم عامة فى مصر الفاطمية خاصة عندما تولت شخصيات أرمنية أخرى الوزارة فى مصر، وبعض المناصب المهمة كرؤساء للدواوين وحكام لبعض بلاد مصر، وذكر أن بهرام الأرمنى، الذى كان سابقاً والياً على الغربية وأصبح بعد ذلك وزيراً على مصر قام «واستدعى قبيلته وأسرته وجنسه وعشيرته بمكاتبات سرية وخطوط عثر عليها بالآرامية، فكانوا يصلون إليه أولاً بأول» حيث كان هو من تل ياشر ، وذُكر أنه أتت حشود من الأرمن لتلحق ببطريركهم أغريغوريوس الأرمنى، والذى من المحتمل أنه نقل رعايته إلى مصر هرباً من الصراعات الحربية وتشجيعاً من بهرام الأرمنى، ووصل تعداد الأرمن فى مصر إلى الثلاثين ألفاً ، وفى ذلك الوقت كان الوزير بهرام الأرمنى قد ولى رضوان الولخشى على عسقلان بحجة التصدى للإفرنج قبل أن تسقط فى أيديهم، فكان الولخشى يتصدى لجماعات الأرمن النازحة إلى مصر ليحد من تدفقهم، وكان يُرجعهم إلى بلادهم فكانوا يصلون إلى مصر بحراً، وعز ذلك على بهرام واستدعاه إلى القاهرة وولاّه على الغربية، لكى لا يكون عقبة أمام هجرة الأرمن من تل ياشر وأرمينية ونهر الجور، وأصبح عدد الجنود الأرمن فى الجيش عشرين ألفاً .

وحدث عندما تملك صلاح الدين الأيوبى على مصر بدأ يستميل إليه الأرمن لمساعدته فى طرد الصليبيين (الفرنجة) من مدينة القدس، خاصة بعد أن علم أن الأرمن والأقباط لهم عقيدة واحدة وهى الأرثوذكسية، وفى ذات الوقت لا يتفقون مع العقيدة الكاثوليكية فى روما والعقيدة الأرثوذكسية البيزنطية (الخلقيدونية) فى القسطنطينية، وحدث أن طُرد الأقباط والأرمن من أماكنهم فى القدس الأمر الذى راق لصلاح الدين أن يستميل الأقباط والأرمن والسودانيين (الأحباش) إليه لطرد الصليبيين (الفرنجة) من أورشليم وبالفعل، فقد أعطى للأقباط دير السلطان وأحسن معاملتهم، وأعاد بعض النفوذ الجزئى للأرمن بتولية بعضهم

فى مناصب رفيعة وبسط نفوذهم الكنسى فى القدس ومعهم الأقباط والأحباش وأمّن عليهم، وتقول مدام بوتشر أن اللاتين قد سنوا قانوناً يحظر على الأقباط والسودانيين من دخول بيت المقدس، وأيضاً يُذكر أنه فى العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) «قد اختفى دور الأرمن المعهود على الساحة المصرية سواء السياسية أو الكنسية» ربما لطغيان الهجوم العثمانى الذى عبّر عنه المؤرخ Evelyn White بوصفه (زمن محنة شديدة فى العالم وفى الدولة)، وفى ذات الوقت لم يعد العثمانيون فى حاجة إلى مساندة الأرمن فى دفعاتهم الحربية، لأنهم امتلكوا القسطنطينية وتحولت إلى الأستانة وأيضاً كل بلاد الشرق الأوسط (حالياً) ، ونظراً لتزايد هذا النفوذ الأرمنى فى تلك الفترة قام جمع من الجنود وخليط من الناس، ومضوا إلى والى الغربية رضوان الولخشى واستصرخوا به لينقذهم من إهانة الأرمن.

وذكر أنه من كثرة نفوذ وعدد الأرمن فى مصر ، فكان لهم حارة الحسينية يسكنون فيها، وكان عددهم فى هذه الحارة ما يُناهز خمسة آلاف فارس، وحارة أخرى خاصة بهم فى الفيوم، وكان بمدينة شطب بأسيوط سبعة أبواب منها باب خاص بالأرمن، وبوابة أخرى بالقاهرة تُعرف ببوابة الأرمن. وبلغ عدد أديرتهم وكنائسهم خمسة وثلاثين على وجه التقريب، وذكر أن بهرام قد ولى أخيه الباساك على قوص، وهى كانت أعظم ولايات مصر وواليها يحكم على كل الصعيد . وانتشر الأرمن فى كل أرجاء مصر، وعندما استصرخ الجند وخليط من الناس برضوان الولخشى ليُخلصهم من الأرمن، قام الولخشى وهاجم القاهرة وطرد بهرام الوزير، وقيل أن العامة هاجمت بطريركية الأرمن، وكان مقرها دير البساتين وهرب بهرام إلى قوص بالصعيد، وقُتل أخيه الباساك هناك، وعندما تخلى جنوده الأرمن عنه هرب محتمياً فى دير الأنبا شنودة (الدير الأبيض)، وطلب كتاب أمان من الخليفة الحافظ فأرسل رضوان أخاه الأوحد إبراهيم إلى الصعيد، ليطلب بهرام ومعه كتاب أمان له، واتفق على أن يبقى بهرام فى الدير الأبيض، ومعه ولده وأن يعتزل السياسة ويُطلق سراح الأرمن الذين معه، فمنهم من عاد إلى القاهرة، ومنهم من عاد إلى بلاده، ومنهم من أقام بأرض مصر ليكونوا فلاحين، فسأل بهرام لهم مواضع يسكنوها، فأفردت لهم جهات منها سمالوط وأبوان وإقلوسنا والبرجين فى صعيد مصر، وضيعة أخرى بأعالى المحلة، وعندما تدخَّل الملك روجر الثانى ملك صقلية والتمس العفو عن بهرام عند الخليفة «الحافظ» قام الخليفة وأرسل فى استدعائه إلى القاهرة وحضر فى شهر رمضان (٥٣٢ هـ / ١١٣٨م) وانزله الخليفة فى قصره وأسكنه داراً قريبه من سكنه، وأنعم عليه وكان يستحضره فى أغلب الليالى ليُجالسه ويُستشيره فى أمور الدولة ويعمل برأيه، وعندما توفى بهرام فى ٢٤ ربيع الآخر (٥٣٥ هـ / ١١٤٠م) حزن الخليفة حزناً شديداً لوفاته ، وكان موكب جنازته عظيماً مهيباً ، سار فيه الخليفة وجلس على شفير القبر وبكى بكاءً كثيراً ثم أمر بتعطيل الدواوين ثلاثة أيام حداداً عليه . وعندما حلت الدولة الأيوبية جاءت فى البداية باضطهاد الأرمن وطردهم ثم مالبث أن استعان بهم صلاح الدين الأيوبى لطرد الصليبيين (الفرنجة) من بيت المقدس وعندما حلت الدولة المملوكية فى مصر (١٢٥٠هـ / ١٥١٧م) قاموا بعدة حملات ضد قيليقية (أرمينية الصغرى)، حتى أسقطوها نهائياً فى عام ١٣٧٥م وبالتالى زاد عدد الأرمن النازحين إلى مصر بسبب ما وفد منهم من الأسرى الذين جئ بهم من قيليقية وانتشروا فى مصر، وكانوا أصحاب صنائع وتجارة وتم إلحاقهم بالجيش، وتقلّد البعض منهم فى الوزارات بالدولة «واستطاعوا تشييد كنيسة القديسميناس بحى «كوم الأرمن» . وعلى المقابل من ذلك يتأكد لنا الجالية الرهبانية الأرمنية التى كانت متواجدة، فى وقت زيارة البابا غبريال البطريرك رقم(٨٦) (١٣٧٠ ـ ١٣٧٨م) إلى أديرة وادى النطرون لعمل الميرون المقدس، ثم قلّ عدد الأرمن بعد ذلك فى العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) .





# الإعلام الإلكترونى وثورة ٢٥ يناير فى مصر

بقلم : د . هشام بشير

دون مقدمات خرج المارد (الشعب) المصرى من «قُمقُم الظُلم والعبودية» ليضع أمام العالم كله تجربةً ثوريةً فريدةً ؛ تمثّلت فى ثورة شباب ٢٥ يناير ، التى أبهرت العالم بمستوى تنظيمها ونقاء أهدافها . وقد أخذت تلك الثورة بيد مصر إلى الأمام مُعبِّرةً عن مدى شموخ الشعب المصرى وصموده فى وجه الظُلم والطغيان الذى سيطر على الحياة المصريّة طوال فترة حُكم الرئيس السابق مُحمِّد حُسنى مُبارك .

وإذا تحدِّثنا عن ثورة ٢٥ يناير ، فهنا لا يجب أن نغفل الدور الذى لعبته مواقعُ التواصل الاجتماعيِّة مثل «الفيس بوك» و «التويتر» وغيرهما فى تلك الثورة من خلال حشد الجماهير ، واختيار الميادين العامة مكاناً للخروج إليه والاعتصام فيه ، ناهيكم عن نَصْب الخيام وإلقاء الخُطب وإطلاق تسميِّات مثل «يوم الغضب» ، فضلاً عن اختيار أيام مُرتبطة بالقمع ؛ بل حتى الهتافات والشعارات التى استخدمتها الثورةُ المصريةُ .

لقد أحدثت وسائلُ الإعلام الإلكترونى ثورةً غير مسبوقة فى مجال التواصل والتفاعل البشرى. بمعنى آخر فقد كان للإعلامُ الإلكترونى من خلال وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعى دورٌ مهمٌ فى تفجير ثورة ٢٥ يناير وحشد الجماهير ، فقد بدأت الثورةُ بدعوة على موقعىّ «الفيس بوك» و «التويتر» للخروج للميادين العامة فى مصر والاعتصام للاحتجاج على الفساد والقمع ، لتتحول إلى ثورة تنتهى بتنحى مُبارك .

ولبيان دور الإعلام الإلكترونى فى ثورة ٢٥ يناير ، ينبغى التطرُّق إلى النقاط التالية :

**أولاً : مفهومُ الإعلام الإلكترونى**

الإعلامُ الإلكترونى هو نوعٌ جديدٌ من الإعلام يشترك مع الإعلام التقليدى فى المفهوم والمبادئ العامة والأهداف، وما يُميِّزه عن الإعلام التقليدى أنّه يعتمد على وسيلة جديدة من وسائل الإعلام الحديثة وهى الإنترنت ؛ بهدف إيصال المضامين المطلوبة بأشكال مُتمايزة ومُؤثِّرة بطريقة أكبر .

فالإنترنت ـ باعتباره احدى وسائل الاتصال غير التقليدية للإعلاميين ـ يُعدُّ فرصةً لتقديم الموضوعات الإعلاميِّة المختلفة بطريقة إلكترونيِّة بحتة دون اللجوء إلى الوسائل التقليديِّة كمحطات البث والمطابع وغيرها بطرق تجمعُ بين النص والصورة والصوت، مما يرفع الحاجز بين المُتلقى والمُرسل ، ويُمكن أن يُناقش المضامين الإعلاميِّة التى يستقبلها إما مع إدارة الموقع وإما مع مُتلقين آخرين .

دكتوراه فى الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة

ويتخذُ الإعلامُ الإلكترونى عدة أشكال منها ما يلى :

١ ـ المواقعُ الإعلاميِّة على شبكة الإنترنت .

٢ ـ الصحافةُ الإلكترونيِّة .

٣ ـ الإذاعةُ الإلكترونيِّة والتلفزيون الإلكترونى : خدماتُ البث الحى للإذاعات والقنوات التليفزيونية على مواقع خاصة على الشبكة ومن خلال «حزم البث الإذاعى والتليفزيونى» والتى تحملها الشبكةُ إلى المُتلقى مُباشرةً وإلى مُختلف المواقع .

٤ ـ خدماتُ الأرشيف الإلكترونى .

٥ ـ الإعلاناتُ الإلكترونيِّة : خدماتُ النشر الإعلانى عبر مُختلف المواقع على الشبكة .

٦ ـ المُدوِّنات (Blogs) .

٧ ـ خدماتُ البث عبر الهاتف الجوال وتشمل : البث الحى على الهاتف الجوِّال ، وبث الرسائل الإعلامية القصيرة عبر خدمة الـ SMS والـ MMS وغيرهما ، وبث خدمات الأخبار العاجلة .

**ثانياً : أهميّة الإعلام الإلكترونى**

يُقدِّمُ الإعلامُ الإلكترونى خدمات كثيرة تُغطى كافة فروع ومناحى الحياة ، وفيما يلى جانبٌ من الفوائد التى قدِّمها لنا الإعلامُ الإلكترونى ومدى أهميِّة هذه الخدمات :

ـ حقّق لنا سرعةً كبيرةً فى مجال اختبار أفكارنا ومعارفنا، عندما مكّننا من معرفة رأى الآخرين فيها .

ـ فتح لنا مجالات واسعة تُمكِّننا من إظهار قُدراتنا ، وبالتالى هيِّأت لنا ظروفاً تُساعدنا على الإبداع فى مجالات كثيرة.

ـ ساعدَ على تطوير الكثير من المهارات ، إنْ كانت فى مجال استخدام الكمبيوتر ، أو فى مجال الكتابة واللغة والتأليف الفكرى والأدبى والفنى .. إلخ .

ـ يُقدِّم مجالاً واسعاً للتسلية واللعب .

ـ يمنحُ الإعلامُ الإلكترونى حريةً واسعةً جداً فى التعبير الفكرى والعقائدى والأدبى والفنى ، والتعبير عن المشاعر والعواطف ، نحن كنا محرومين منها .

ـ يتيحُ تواصلاً ثقافيّاً وعقائديّاً مع الآخرين .

ـ أتاح مجالاً واسعاً للاطلاع المعرفى والثقافى فى مجالات كثيرة وبسهولة كبيرة .

ـ سهِّل البحث عن المراجع والمعلومات والأخبار بسهولة ويُسر وسرعة من خلال وجود مُحرِّكات البحث المُتطوِّرة .

ـ منح سرعة التفاعل مع الآخرين من خلال المُنتديات الحوارية التى تتمتعُ بالكثير من المزايا والفوائد ، كما أنِّ لها سلبياتها ، ككل شئ فى الحياة عموماً ، ففيها الحريةُ الواسعةُ فى عرض ونشر الأفكار دون قيود . إذْ أنِّ حرية التعبير التى حُرمت منها مُجتمعاتنا جعلت من هذه المُنتديات مُتنفساً ، وهو وضعٌ صحىٌ ومطلوبٌ ، ومع الوقت ربما تُصبح حريةُ التعبير وتقبُّل الآراء المُختلفة وضعاً طبيعياً ومقبولاً ، فالكثيرُ من الأفكار التى تُطرح لم تتعود مُجتمعاتنا على مجرد سماعها ولا أقول قبولها، ولاشكِّ أنِّ هناك بعض الموضوعات القيِّمة تُكتَب فى المُنتديات ، ولكن الإشكال هو أنّها سُرعان ما تذهب خلف الصفحات وتُدفن. وصفاتُ وخصائصُ المُنتديات لا تُحدِّدها وتُقرِّرها الإدارةُ فقط ؛ بل صفات وقدرات الأعضاء أيضاً ، فمهما كانت الإدارةُ مُتطورةً وجيدةً وحكيمةً ، فإن هذا لا يكفى لتطور المُنتدى وتقدُّمه إذا كانت غالبيةُ الأعضاء غير مؤهلة لذلك .

وفى سياق الحديث عن وسائل الإعلام الإلكترونى التى استخدمها الثوارُ فى ٢٥ يناير ، يُمكن تناول أبرزها كالآتى:

**١ ـ موقع «الفيس بوك»**

هو عبارة عن موقع ويب للتواصل الاجتماعى يُمكن الدخول إليه مجاناً وتُديره شركة «فيس بوك» محدودة المسئولية كملكيِّة خاصة لها ، وقد أُنشئت على هذا الموقع صفحة «كلنا خالد سعيد» والتى كانت الأكثر نشاطاً على «الفيس بوك» فى مصر ، وذلك فى يونية ٢٠١٠، بعد يومين من وفاة الشاب «خالد سعيد» ، الذى تُطلق عليه مُنظّمات المجتمع المدنى «شهيدُ الإسكندرية» .

وقد كانت هذه الصفحةُ سبباً رئيسياً وراء إنشاء حركة «كلنا خالد سعيد» ، وهى عبارة عن مجموعة من الشباب المصرى رفعت قضيِّة الشاب خالد سعيد ـ الذى قُتل تعذيباً على أيدى الأمن بالإسكندرية ـ شعاراً لها للاحتجاج على الفساد ونظام الحُكم وقبضته الأمنيِّة . ولم تُعلن هذه المجموعة عن نفسها تياراً سياسياً أو حركةً مُنظّمةً بقدر ما تُقدِّم نفسها كتجمُّع استفاد من وسائل الاتصال الحديثة على الإنترنت ، ليُشكل واحداً من التيارات المُطالبة باحترام حقوق الإنسان . وفقاً لجروب «كلنا خالد سعيد» ـ الذى يُستبدل دلالياً بكلمة خالد شهيد ـ على الفيس بوك ، تمِّ الإعلانُ عن أن الصفحة مفتوحة للجميع بغض النظر عن الجنس أو الدين أو العمر أو المؤهل التعليمى أو الانتماء السياسى .

وقد شهد الموقعُ الاجتماعى «الفيس بوك» بعد ثورة ٢٥ يناير الآلاف من الصفحات المصرية السياسيِّة الجديدة ، وانضمِّت إليها شخصياتٌ سياسيِّة شهيرة إيماناً منهم بدور الموقع فى تجميع الشباب وكونه نقطةَ حوار مُهمة ، خاصةً بعد أحداث ثورة ٢٥ يناير ، وبعدما انتمى إليه المئات ، ثُمِّ ظهور صفحة خاصة للداخلية المصرية للتحاور مع الشباب، ثُمِّ ظهرت الصفحة التى حملت اسم «الصفحة الرسمية للمجلس الأعلى للقوات المسلحة» والتى اشترك بها ما يقرب من ٦٠ ألف شخص بعد يومين فقط من تأسيسها .

ووفقاً لتقريرٍ نُشر من قبل مركز المُساعدة الدولية للإعلام CIMA ، وصل عدد مستخدمى الفيس بوك فى المنطقة العربية حتى أواخر عام ٢٠١٠ إلى زهاء ١٧ مليون شخصٍ ، بما فى ذلك صحفيون وقادة سياسيون وناشطون ، فى حينٍ وصل عدد المدونين فى المنطقة إلى ٤٠ ألفاً .

**٢ ـ موقع «التويتر»**

لقد كانت للرسائل المُتبادلة بين النشطاء عبر موقع التويتر دورٌ هائلٌ فى إشعال الثورة ، علاوةً على أن هذه الرسائل رسمت صورة مُتوهِّجة وواقعيِّة للثورة لحظةً بلحظة فى وقت وقوعها كما جاءت على لسان النُشطاء والصحفيين .

ومن الجدير بالذكر أن ثورة ٢٥ يناير ربما تكون هى أول ثورة تُدار إدارة «لحظيِّةً تشاركية» من قبل جماهيرها الواسعة ، دون الحاجة إلى قيادة موحِّدة تُديرها . ويُعتبر موقع التواصل الاجتماعى بالرسائل القصيرة «التويتر» واحداً من المفاتيح الأساسيِّة وربما كان هو كلمة السر التى أضفت على الثورة هذه الصفة ، لأنِّ دورالتويتر فى الثورة كان أقرب إلى دور «الجهاز العصبى» لدى الكائن الحى ، فخلال الثورة أتاح موقع «التويتر» للثوار نظاماً فورياً لجمع ونقل المعلومات والإشارات ومعالجتها واستخدامها فى اتخاذ القرارات طوال الوقت ، فجعلهم يتفاعلون بسرعة مع الخطر والاحتياجات والفرص ، ويتواصلون بسهولة مع بعضهم البعض أثناء التدافع الحى للأحداث وتلاحقها ، فمن خلال هذا الموقع وأدواته تداولت عشرات الآلاف من الناس عشرات الملايين من الرسائل القصيرة المركزة الموجهة من شخص لمجموعة أو العكس ، وكانت جميعها تتعلق بشئ (يحدث الآن) أو حدث منذ لحظة أو سيحدث بعد لحظة ، وكانت هذه الرسائل الموجزة المركزة تنطلق من تليفون محمول إلى التويتر نفسه أو صفحة على الفيس بوك أو موقع إخبارى ، أو تنطلق من أى من هؤلاء لتجد طريقها إلى التليفونات المحمولة .

ويكفى المهتم بهذا الشأن أن يعلم أنه خلال الفترة من ١٠ يناير إلى ١٠ فبراير ٢٠١١ قد جرى إنتاج وتدوير أكثر من ٩٣ مليون نسخة من رسائل التويتر العربية بين الجماهير

فى مصر والعالم العربى والأجنبى ، وغطت هذه الرسائل أغراضاً شتى ، شملت الدعوة للتظاهر والمشاركة فى الثورة وحشد الناس لها ، والمساهمة فى تنظيم أعمال الثورة وفعالياتها وتوضيح أسبابها وأفكارها ومتابعة أحداثها لحظياً وفضح وتوثيق الاعتداءات عليها سواء من قبل الأمن أو غيره .

وهكذا ، قدم «التويتر» للثوار فى مصر فرصة رائعة لتداول المعلومات بغاية السرعة والنعومة والكفاءة ، والاستجابة السريعة للطوارئ والفرص فى الوقت المناسب، ومن ثم وفر الدعم اللحظى بالمعلومات اللازمة لاتخاذ قرارات سريعة وسليمة ذات تأثير فى مختلف مراحل الثورة بدءاً بالتخطيط المبكر وحتى نجاح الثورة .

### ٣ - موقع « اليوتيوب »

هو أكبر موقع عل شبكة الإنترنت يسمح للمستخدمين برفع ومشاهدة ومشاركة مقاطع الفيديو بشكل مجانى ، ولا أحد ينكر أن إسهام موقع اليوتيوب فى إحداث وإشعال ثورة ٢٥ يناير لا يقل أهمية عن دور كل من «الفيس بوك» أو «التويتر» ، إذ أن مشاهدة فيديوهات الفساد وكشف الكثير من خبايا الفساد عن النظام السابق ، وانتشار فيديوهات التعذيب على الموقع كان لها عظيم الأثر فى شحن نفوس الشعب المصرى ، وكانت سبباً رئيسياً وراء احتقان هؤلاء الشباب ضد الحكومة الظالمة ، مما كان له دور فاعل فى قيام ثورة ٢٥ يناير .

### ٤ - الصحافة الإلكترونية

الجدير بالذكر أن نشأة الصحافة الإلكترونية جاءت فى منتصف التسعينيات ، ممثلة لظاهرة إعلامية جديدة مرتبطة بثورة تكنولوچيا المعلومات والاتصالات ، رغبةً فى الوصول إلى أكبر عدد من القراء وبأقل تكاليف . بذلك تكون الصحافة الإلكترونية قد فتحت آفاقاً عديدة ، وأصبحت أسهل وأقرب لمتناول المواطن . ويُمكننا إيراد عدد من مميزات الصحافة الإلكترونية فيما يلى :

١ - توفير الجهد والوقت والمال .

٢ - تخطى الحدود المحلية والإقليمية .

٣ - سرعة انتشار المعلومات .

٤ - سرعة تصحيح وتحديث وتعديل وتجديد الخبر الإلكترونى .

٥ - توفير مساحة أوسع لكافة شرائح المجتمع وعدم اقتصار الكتابة على الكُتاب المشهورين والمبدعين .

٦ - تمكنت الصحافة الإلكترونية من خلق مجتمعات محلية عربية ودولية صحفية حول قضية ما ، مثال : «منتدى الدفاع عن حقوق الصحفى حول العالم» .

٧ - احتواء الصحافة الإلكترونية على استطلاعات رأى واستفتاءات تُعطى مساحة كبيرة للقارئ من إبداء رأيه دون قلق لتكسر بذلك حاجز الخوف من الرقابة .

٨ - تُوفر الصحافة الإلكترونية أرشيفاً وقاعدةً معلوماتية متاحة فى كل وقت .

وإجمالاً فليس من المبالغة فى شئ القول بأن الإعلام الإلكترونى كان له دور مهم فى إشعال فتيل ثورة ٢٥ يناير من خلال نجاحه فى إقامة التواصل والتأثير على الجمهور. وقد ظهر جلياً مستقبل الإعلام الإلكترونى حين استخدم المجلس الأعلى للقوات المسلحة الرسائل النصية على الهاتف المحمول فى التواصل مع المواطنين ، إضافة إلى إنشائه صفحة على موقع التواصل الاجتماعى «الفيس بوك» .

بمعنى آخر ، فقد استطاع الإعلام الإلكترونى أن يُؤكد أنه كان القوة الإعلامية الأكثر تنامياً يوماً بعد يوم فى مواجهة تحديات الأنظمة الرسمية فى مصر ، إذ تفاعلت شبكات التواصل الاجتماعى مثل الفيس بوك والتويتر واليوتيوب مع تطلعات الجماهير مما أسهم بفاعلية فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

# إحياء الموسيقى القبطية فى العصر الحديث

بقلم: د. ماجد عزت

شهدت الموسيقى القبطية فى العصر الحديث تطوراً فى بعض جوانبها؛ بدءاً من جذورها وانتمائها للحضارة المصرية القديمة، وأدواتها البدائية (المحلية) والحديثة (الواردة)، وهو ما أدى الى تنوع ألحانها وقداساتها وتراتيلها الموسيقية؛ وأصبح لكل منها رواده وهو ما سوف نوضحه فى هذه المقالة .

## معنى إحياء الموسيقى القبطية

يدل مصطلح «إحياء الموسيقى القبطية» على تجميع مصادرها القديمة وإعادتها إلى سابق عهدها وبعثها من رقدتها والعودة بها إلى تقاليدها الأولى من حيث طابعها وأصالتها ورصانتها مع الحفاظ على تفاعلها مع منجزات العصر. بمعنى آخر ، العودة إلى عزف ألحانها القديمة وربطها بذوق العصر، وقد بدأت أنظار العالم كله حالياً تتجه إلى تراثها الخالد، هذا الذى حفظته الكنيسة على مدى عشرين قرناً من الزمان، على تقلباته وما عرض له من عهود رخاء واضطهاد ، وسلمته جيلاً بعد جيل فيما عُرِفَ بالتواصل، أو التواتر بين الأجيال، أو محاكاة التراث الشفاهى عبر القرون الطويلة . ولاتــزال حتى يومنا هذا تحتفظ بألحان تُجارى ذوق العصر ، ويُمكن تطويعها للأداء الفنى الذى لا ينبو عن الحس الموسيقى ، ويجتذب الآذان ، ويلقى ما كان يلقاه فى عهده الأول من توجه للسماع والتأثر جامعاً بين الألحان القبطية والترانيم المنشدة.

## جذور الموسيقى القبطية

إذا رجعنا إلى الماضى الغابر أو بالتحديد إلى عصور ما قبل التاريخ ، نستطيع أن نجد لوحات منقوشة من عمل الإنسان الأول تدل على أن إنسان تلك العصور قد عرف الموسيقى فى طورها البسيط غير المركب، وتُشير الصور المنقوشة على جدران المقابر والآلات الموسيقية التى عُثر عليها فى مصر على أن المصرى القديم كان منذ فجر التاريخ يميل بطبعه إلى الغناء والموسيقى ويمارسهما فى المناسبات التى تعرض لحياته الاجتماعية وفى العديد من طقوسه الدينية.

وهناك من القرائن ما يرجع بالموسيقى القبطية إلى الموسيقى المصرية الفرعونية القديمة بحيث تُعد الموسيقى القبطية أقدم تراث موسيقى مصرى انتقل عن طريق التواتر الشفاهى والحفاظ على الطقوس الدينية من عقائد المصريين القدماء ممثلة فى جانبها الترتيلى الموسيقى، بحيث امتد بسماته الفنية إلى الموسيقى القبطية. ويسعنا القول بأنها هى هى نفس الموسيقى التى كان يعزفها ويترنم على ألحانها المصريون القدماء، ومن ذلك لحن الجلجثة الذى يُرتله رجال الدين المسيحى فى يوم الجمعة العظيمة بعد صلاة

دكتوراه فى التاريخ الحديث
جامعة القاهرة

الساعة الثانية عشرة، وهم يدفنون صورة السيد المسيح المصلوب كوسيلة إيضاح تمثيلاً لدفنه، وهو بعينه اللحن الذى كان يستخدمه الكهنة الجنائزيون فى مصر القديمة أثناء تحنيط الجثة ودفنها دون دلالة الكلمات. كما أن لحن «بيك ثرونوس» ومعناه «عرشكَ يا الله» والذى تُرتله الكنيسة فى يوم الجمعة العظيمة هو بعينه نفس اللحن، الذى كان يُزف به الفرعون عند موته، حيث كان ينزل من القبر إلى مركب الشمس ليدور مع الشمس فى الخلود والحياة الأبدية.

### الآلات الموسيقية القبطية

عرف الإنسان منذ آلاف السنين كيف يستخدم صوته فى أداء جمل وعبارات موسيقية مرتبة ومنظمة فى أبسط صورها، ورنم ورتل فى صياغة موسيقية بسيطة مقاطع لفظية بحروف كوّن منها كلمات وعبارات، كانت حينئذ كافية لإشباع حاجاته، ولتحقيق غاياته وممارساته الموسيقية المتواضعة حين يعجز صوته بإمكانياته المحدودة عن تحقيق الكفاية والكفاءة اللتين يرجوهما، ومع تقدم التاريخ وبزوغ الحضارة الفرعونية تطور الفن الموسيقى، بحيث واكب التقدم التاريخى، ووافقت الموسيقى فى انتقالها من البساطة إلى التركيب التطور العقائدى للمصرى القديم بحيث صاحبت طقوسه الدينية فى المعابد وقصور الملوك، واتسعت حتى أصبح فى إمكانه أن ينقل عن طريقها أحساسيسه ورغباته إذا لم تُساعده الكلمة على ذلك أو لم يسعه التعبير بها. وقد عرفت الموسيقى القبطية العديد من الآلات الموسيقية بأنواعها المختلفة من قبيل آلات الطرق أو النقر وذوات النفخ، والآلات الوترية وهى الآلات التى استخدم معظمها الفراعنة منذ آلاف السنين ، وظلت كما هى من حيث طريقة صناعتها البسيطة وكيفية استخدامها واستخراج الصوت منها، دون تعديل حتى يومنا هذا.

### الألحان القبطية

الألحان القبطية هى ذلك التراث التسبيحى الذى حفظته الكنيسة القبطية على مدى ألفىّ عام، وكانت وسائل حفظها هى ترديدها فى الصلوت والأصوام والمطانيات، وكونها ترجماناً عن الدموع والعرق والدم عبر القرون العديدة. واستطاعت الكنيسة أن تحفظ هذه الألحان داخل صحنها المقدس ألفىّ عام، رغم عدم تدوينها موسيقياً ورغم عدم توافر أجهزة التسجيل التى انتشرت فقط فى هذا القرن، فاعتمدت الكنيسة على التراث الشفاهى Oral Tradition فى حفظ هذه الألحان، وأوجدت من أجل هذا المرتلين Cantors ، وهم عادة ما يكونون من مكفوفى البصر لقدرة ذاكرتهم على اختزان هذا القدر الكبير من الألحان، التى يصل عددها إلى حوالى ٥٧٥ لحن، وتتراوح المدة الزمنية لكل منها ما بين نصف دقيقة وعشر دقائق .

ويُعتبر تناقل التراث الشفاهى لحفظ هذا الكم من الألحان القبطية من الأمور المبهرة، وقد ساعد على وجودها إصرار الكنيسة القبطية التقليدية على عدم التفريط فى كل ما تسلمته من الآباء الرسل دون أدنى حياد عنه بحيث اتصف بسمات لم تتعرض للتغريب، بل يذهب البعض إلى أن بقاء تراث الألحان القبطية طيلة هذه القرون، يفوق إن لم يضاهى معجزة بقاء آثارنا الفرعونية.

واعتقد بعض الباحثين فى مجال الموسيقى القبطية أن الألحان الكنسية قد اكتملت فى القرن الخامس الميلادى بعد أن انتشرت الديانة المسيحية بين المصريين جميعاً، وبدأت تتكون معها ملامح الصلوات والطقوس، وأخذت فى التطور التدريجى حتى استقرت، ومما يؤكد ذلك اكتشاف أقدم نوتة موسيقية فى ذات الفترة.

ومع مجىء الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) حاول أحد أعضائها ويُدعى «فيلوتو» تدوين أول نوتة للألحان القبطية على الطريقة الغربية فى تدوين الموسيقى.

وفيما يتعلق بطرق أداء الألحان القبطية نذكر منها :

التسبيح فى خورسين، التسبيح بطريقة المرد، التسبيح الجماعى، التسبيح المنفرد.

**رواد الموسيقى القبطية :**

**راغب مفتاح (١٨٩٨ ـ ٢٠٠١م) ( نموذجاً لرواد جمعها وحفظها )**

وُلد راغب حبشى مفتاح فى ٢١ ديسمبر ١٨٩٨م بمدينة القاهرة، وحصل على درجة البكالوريا سنة ١٩١٨، ثم أرسلته الأسرة إلى ألمانيا لدراسة الزراعة، وبعد عودته إلى مصر بدأ يهتم بالتاريخ القبطى والموسيقى والألحان القبطية، وفى سبيل المحافظة على سمات اللحن القبطى سافر إلى إنجلترا ١٩٢٧ ليستعين بخبراء الموسيقى. وفى ثلاثينيات القرن العشرين اختاره المرتل «ميخائيل جرجس البتانونى» كبير مرتلى الكاتدرائية المرقسية الكبرى (بالأزبكية) وذلك من بين كثير من المرتلين المشهورين فى جميع أنحاء البلاد لتسجيل طقوس وألحان الكنيسة القبطية كنوتة موسيقية على ورق، فبلغ ما سجله راغب مفتاح ستة عشر مجلداً. ولإنجازاته فى جمع وحفظ الموسيقى والألحان القبطية، قام قداسة البابا شنودة الثالث البطريرك رقم (١١٧ فى ٧ يناير ١٩٨٤)، بمنحه الدكتوراة الفخرية. وفى ١٨ يونية ٢٠٠١ رحل راغب مفتاح عن عالمنا عن عمر يُناهز ١٠٢ عاماً، وبذلك يكون قد عاصر ثلاثة قرون، كان له فى موسيقاها دور بارز مساهماً فى تطويرها بحيث فاق مجهوده عدة جهود، كانت كفيلة بأن تُشغِّل جوقة من الموسيقيين.

يتبين لنا مما سبق أن الموسيقى القبطية جاءت امتداداً للموسيقى الفرعونية، واستطاعت أن تُحافظ على سماتها من ناحيتىّ الآلات الموسيقية المستخدمة وطبيعة الألحان، وقد انتقلت تواتراً من جيل إلى جيل واختلطت بالأداء الدينى القبطى حتى أصبحت جزءاً من نسيجه، وأصبحت بمثابة السجل التاريخى الذى استطعنا من خلاله إدراك مواصفات الفن الموسيقى الفرعونى والذى طوّعه الأقباط بحيث يكون معبراً عن معتقداتهم فى الصلوات والقداسات والتراتيل. وقد أصبح للموسيقى القبطية روادها، ولايزال عددهم يتنامى حتى زماننا هذا . وقد قيد لنقل هذا الفن والقيام عليه علماء مصريون رغّبوا العالم الغربى فى الأخذ بسهم فى نشره والتعريف بملامحه ومميزاته وأدواته وآلاته.

## أرمينية ومصر

# نمو العلاقات المصرية الأرمنية

تتوثق العلاقات الأرمنية المصرية يوماً بعد ، وقد أبرم الطرفان اتفاقيات متعددة فى جميع المجالات . وفى الوقت الراهن، يتبادل الطرفان المباحثات حول عقد اتفاقيات على النحو الآتى : مشروع البرنامج التنفيذى للتعاون العلمى والتكنولوچى فى المجال الزراعى ، مشروع البرنامج التنفيذى للتعاون التعليمى والعلمى ، البرنامج التنفيذى للتعاون الثقافى ، بروتوكول التفاهم للتعاون بين مكتبة الإسكندرية والمكتبة الوطنية ، مشروع اتفاقية الصداقة بين مدينتىّ القاهرة ويريڤان ... إلخ .

متابـــــعة

# السلطة فى العالم العربى عبر العصور



إعداد : سحر حسن

تحت رعاية الدكتور عماد أبو غازى وزير الثقافة ، أقامت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية برئاسة الأستاذ الدكتور عادل غنيم بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة مؤتمرها السنوى الذى يحمل عنوان «السلطة فى العالم العربى عبر العصور» فى الفترة من ٢٦ إلى ٢٨ أبريل ٢٠١١ ، وتكونت لجنة إعداد المؤتمر من أ . د . أحمد زكريا الشلق ، وأ . د . جمال معوض شقرة ، و د . خلف الميرى .

وقد ضم المؤتمر خمسة وعشرين ورقة بحثية قُسمت كالتالى : فى التاريخ القديم جاءت ورقتان ، الأولى للدكتورة عائشة محمود عبد العال تحت عنوان «مفهوم السلطة والملكية فى مصر القديمة» ، والثانية للأستاذ فايز على عن «السلطة والتفويض الإلهى ـ محاولة للفهم» أيضاً قُدمت ورقة بحثية واحدة فى التاريخ اليونانى والرومانى للأستاذ الدكتور أبو اليسر فرج والتى حملت عنوان «شرعية السلطة فى مصر فى العصر اليونانى والرومانى» ، وفى التاريخ الإسلامى قُدمت سبع ورقات بحثية حول موضوعات مختلفة وهى كالآتى على التوالى ، «السلطة فى الفكر السياسى والإدارى فى الدولة المملوكية (مقوماتها ـ شاراتها ـ مؤسساتها) دراسة تاريخية حضارية» للدكتور فتحى عثمان إسماعيل ، «السلطة فى مصر عصر سلاطين المماليك» للدكتور علاء طه رزق حسين ، «السلطة المطلقة وجذور الاستبداد فى أدبيات السياسة الإسلامية» للأستاذ الدكتور نجاح محسن مدبولى ، «الحكم المملوكى وشرعية السلطة (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧) للدكتورة إيمان مصطفى عبد العظيم ، «علاقة الفقهاء بالسلطة فى الأندلس عصر بنى نصر» للدكتور عبد الحليم على رمضان ، «الحرفيون والسلطة فى الأندلس فى منتصف القرن الثانى وحتى أواخر القرن الخامس الهجرى» للدكتورة عبير زكريا سليمان ، وأخيراً «الديمقراطية / السلطة والمجتمع فى المغرب العربى قراءة تاريخية» للأستاذ الدكتور عبد الكريم مدون .

أما التاريخ الحديث والمعاصر فضم خمسة عشر ورقة وقُدمت أيضاً كالتالى ، «السلطات فى الدساتير المصرية ١٩٢٣ ـ ١٩٧٠ (دراسة مقارنة)» للدكتور سيد عيسى ، «مفهوم سلطة دولة محمد على» للدكتور حسن مرسى سيد عطية ، «الأصول المرعية فى السلطة التنفيذية المصرية» للدكتورة صفاء شاكر ، «سلطات الحاكم فى الدساتير المصرية ١٨٧٩ ـ ١٩٧١» للدكتور نبيل الطوخى ، ثم «الضباط الأحرار فى السلطة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤» للأستاذ الدكتور جمال شقرة ، «الدولة وسلطة الرقابة المالية فى عهد محمد على» للأستاذ محمد مبروك محمد ، «أزمة تولية

باحثة دكتوراة
جامعة عين شمس

حسين كامل السلطة ورد فعل المصريين» للدكتور مصطفى الغريب ، «الإرادة الشعبية والسلطة فى مصر بين التولية والتنحية (١٨٠٥ ـ ٢٠١١م)» للدكتور خلف الميرى، «حزب جمهورى فى مصر نشأ فى ظل الخديوية (١٩٠٧ـ ١٩٠٨) للأستاذ الدكتور عبد المنعم إبراهيم الجميعى ، «السلطة والأحزاب : حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية» للأستاذ الدكتور محمد عبد الوهاب سيد أحمد، «المرأة المصرية والسلطة ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢» للدكتور إبراهيم جلال أحمد ، «انهيار السلطة فى الصومال فى عهد سياد برى (الأسباب والنتائج)» للدكتور محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، «تفكيك السلطة فى الصومال ١٩٩٠ ـ ٢٠١٠» للدكتور أحمد عبد الدايم محمد حسين ، وأخيراً «السلطة فى دارفور فى عهد الإدارة الثنائية ١٩١٦ ـ ١٩٣٦» للدكتور وسام أحمد طه منصور.

ونظراً لضيق المساحة ، سوف نعرض فقط لبعض الأوراق التى طُرحت فى المؤتمر . ففى ورقة د . عائشة محمود عبد العال رئيسة قسم التاريخ بكلية بنات عين شمس ، ترصد «مفهوم السلطة والملكية فى مصر القديمة» . وحسب رؤيتها ، تُعد الملكية فى مصر القديمة وظيفة سياسية ممتزجة ومنصهرة بالقوى الدينية والروحية ؛ إذ كل ما يخص الملك والملكية مطبوع بطابع دينى . وفى هذا الصدد، قام الكهنة بدور محورى فى صبغ الملكية بالطابع الدينى . ويُمكن القول بأن الملكية البشرية فى منظور المصرى القديم هى الإرث القانونى والشرعى عن الآلهة . ولذا ، اعتُبر الملك الحاكم خليفة الإله على الأرض . وثمة تحليلات علمية ترى أن تأليه الفرعون لم يُقصد به المدلول الحرفى للفظ حور أو إله ntr بل هو أسلوب مهذب للتعبير عن الخضوع التام من الملك للإله . وحسب تفسير بعض علماء المصريات أن الملك فى مصر القديمة لم يصل إلى حد الألوهية المطلقة ، ولكنه وصل إلى حد القداسة المطلقة .

وقد برزت «البشرية المقدسة» للفرعون عندما مثل الملوك أمام آلهتهم راكعين أو زاحفين مبتهلين إليهم ومتضرعين . وتجدر الإشارة إلى أن البحث قد تطرق إلى أهم الصفات التى يجب توافرها فى الملك، وتغير هذه الصفات من حقبة إلى أخرى .

ويستعرض الأستاذ فايز على ـ كاتب وشاعر ـ فى أطروحته «السلطة والتفويض الإلهى» . وطبقاً لرأيه ، فى حين فهم مفكرو أوربا الحديثة التفويض الإلهى على أنه حكم مطلق (فرعون الطاغية ، الاستبداد الشرقى) ، تحالف معهم فى هذه الرؤية نفر من مفكرى الشرق (الملك الإله ، الطاغوت ، الديكتاتور) . وجدير بالإشارة أن الأطروحة تبحث أسس التفويض الإلهى الذى كان يعنى الحكم بمقتضى ماعت (العدالة) قبل أن يمدنا اليونانيون بمفهوم «لوجوس» . كما يقبض فرعون على «مكس» (الوثيقة) بيمناه مفوضاً حورس المنتصر للخير (أوزير) ضد قوى الشر (ست) . وتطرقت الأطروحة أيضاً إلى تحليل مبادئ السياسة آنذاك (تعاليم خيتى الملك الفيلسوف : حوالى ٢٠٧٠ ق.م) ، وهى تسبق نظرية الملك الفيلسوف عند أفلاطون ، وتحتوى على نصائح جد مهمة من قبيل : حماية الثغور ، توحيد أرجاء البلاد ، العلاقة بين الشمال والجنوب، تسفيه الحرب والعنف ، الحض على تحرى العدالة ، النهى عن الفتنة ، الالتزام بأوامر الإله ... إلخ .

ويتناول د . نبيل الطوخى (آداب المنيا) فى بحثه «سلطات الحاكم فى الدساتير المصرية ١٨٧٩ ـ ١٩٧١» . وأثبتت الدراسة أن الحاكم المصرى تمتع بسلطات كثيرة ازدادت من دستور إلى آخر حتى وصلت إلى ذروتها من دستور عام ١٩٧١؛ إذ صار الرئيس يتحكم فعلياً فى كل سلطات الدولة ويفعل ما يشاء دون أدنى مساءلة . وأشار الباحث إلى الجدل الذى يُهيمن على المشهد المصرى عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بخصوص الدستور المصرى

وسلطات الرئيس المنتظر . وتتطلع غالبية المصريين إلى وضع دستور جديد يكون الرئيس فيه حكماً بين سلطات الدولة وليس حاكماً مسيطراً على هذه السلطات وعلى الشعب .

ويتطرق د . خلف الميرى (بنات عين شمس) فى دراسته إلى استعراض «الإرادة الشعبية والسلطة فى مصر بين التولية والتنحية ١٨٠٥ ـ ٢٠١١» . وتتناول الدراسة دور الإرادة الشعبية فى تولية السلطة السياسية الحكم وكذلك دورها فى تنحية أو خلع هذه السلطة عن الحكم . والواقع أن السيادة الشعبية يُراد منها تقرير سلطة الشعب فى مواجهة سلطة الفرد المطلقة أو سلطة طبقة حاكمة ، وهذا يعنى ممارسة الشعب إشرافه على من فوضهم فى تسيير أموره . وتعنى أيضاً أنها السلطة التى تعلو كلاً من البرلمان والحكومة وصولاً إلى السلطة السياسية . وتعرج الدراسة إلى رصد الموقف الشعبى من ولاية محمد على (١٨٠٥) ، عزل إسماعيل (١٨٧٩) ، عزل عباس حلمى الثانى (١٩١٤)، تنحية جمال عبد الناصر (١٩٦٧) ، عزل مبارك (٢٠١١) .

دارت ورقة د . إبراهيم جلال (آداب عين شمس) حول «المرأة المصرية والسلطة ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢» . وحسب الورقة ، استطاعت المرأة المصرية تفعيل دورها من خلال مواقفها المتباينة من السلطة الحاكمة فى مصر ، وكذا رؤيتها فيما يتعلق بطبيعة السلطات المختلفة فى مصر تنفيذية وتشريعية وقضائية ، وكذلك التيارات السياسية فى مصر بدءاً من الليبرالية والديمقراطية ومروراً بالاشتراكية وانتهاءً بالسلفية . هذا ، وقد ناضلت المرأة من أجل الحصول على جميع الحقوق التى تُؤهلها للمشاركة بصورة ملحوظة بجانب الرجل فى كل الأمور المتعلقة بالسلطة من قبيل التصويت فى الانتخابات والمشاركة فى المجالس النيابية والتشريعية وتكوين الأحزاب والتنظيمات والجمعيات السياسية .

وتناولت ورقة د . عبد المنعم الجميعى (آداب الفيوم) موضوع «حزب جمهورى فى مصر نشأ فى ظل الخديوية ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨» . ففى ديسمبر ١٩٠٧ أعلن المثقف الليبرالى محمد أفندى غانم أن هدف «الحزب الجمهورى» هو تعليم المصريين مبادئ الجمهورية وأفكارها حتى إذا زال الاحتلال الإنجليزى الجاثم على صدر مصر تحول نظام الحكم فى البلاد إلى إلغاء الخديوية ، وقيام المصريين باختيار نظام حكم أنفسهم بأنفسهم ، وقد عبّر عن ذلك فى مقالاته التى نشرتها له جريدتا «الأخبار» و «الأحرار» موضحاً أهمية تكوين حكومة جمهورية تجعل سيادة الأمة مصدراً لكل سيادة ، وردد شعار «الحرية والإخاء والمساواة». وذكر أن مصر خليقة بأن تجعل خاتمة حياتها السياسية الطموح إلى الحكم الجمهورى ، وتنبأ بسقوط الخديوية وقيام الجمهورية على أنقاضها ، وناشد المصريين العمل على الدعوة إلى بث فكرة الجمهورية قائلاً : «الدعوة إلى الجمهورية ، والعمل لبلوغ هذا القصد العالى بجميع الوسائل الشرعية واجبان مفروضان على كل مصرى يشعر بالوطنية الحقة ، ويسعى لرفع منار أمته بين الشعوب الحية». وأوضح مزايا الجمهورية بقوله : «إن الجمهورية معناها أن تختار الأمة رئيساً عليها ممن هم أحق بالحكم فيها كفاءة واستعداداً» .

وترويجاً للنظام الجمهورى ، نشر محمد غانم مقالاً ربط فيه بالجمهورية والشورى فى الإسلام محاولاً أن يُثبت أن النظام الأساسى وفق الشريعة الإسلامية هو الشورى ، وأنه لا تناقض بين النظام الجمهورى والإسلام . ومن المنطقى أن يُعادى الخديو عباس حلمى الثانى (١٨٩٢ ـ ١٩١٤) هذا الحزب . علاوة على ذلك لم يكن الاحتلال راضياً عن فكرة الجمهورية ، ولذا ، فإن هذا الحزب لم يُقدر له البقاء سوى عدة أشهر خاصة وأن الموقف الداخلى نفسه فى مصر لم يكن متحمساً لمثل هذا التيار . ولذلك ، كان من السهل الإطاحة به .

## أعـــــلام

# رزق الله حسون الأرمنى

بقلم : عطا درغام

وُلد فى حلب عام ١٨٢٥ من أسرة كريمة أصلها من الأرمن ودرس العلوم الدينية فى (دير بزمار) فى لبنان، ثم أتقن اللغات الفرنسية والتركية الأرمنية والعربية، وتعلّم الرياضيات، وعمل فى حلب بالتجارة، وسافر إلى الأستانة واستقر بها وصار فيها ناظراً لجمرك الدخان، وأثناء إقامته هناك نشبت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية ، فأنشأ عام ١٨٥٥ فى الأستانة جريدة «مرآة الأحوال» ، وهى أول جريدة عربية غير رسمية فى العالم كله، وصف فيها حرب القرم فذاعت شهرته، ثم تجوّل فى أوربا ودخل فرنسا وروسيا ، ومكث مدة فى لندن وكان فى أسفاره يشتغل بالآداب العربية ، ويُؤلف الكتب النثرية والشعرية. وكان خطه بديعاً وفى المكتبة العربية من قلمه عدة كتب تأخذ بالأبصار لجودة خطها وإتقانها، كتبها على ورق جميل النقش، كان انتسخها فى أوقات الفراغ فى خزائن كتب أوربا كصبح الأعشى للقلقشندى وديوان الأخطل وديوان ذى الرمة والمتم لابن درستويه ونقائض جرير والفرزدق والأناجيل المقدسة ترجمة الدبسى.

وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ رحل إلى الشام فى صحبة فؤاد باشا، فكان يترجم المنشورات والأوامر ، وعاد إلى إنجلترا واشتغل بالتأليف فى قرية (ونزورث) بقرب قصر الملكة فكتوريا ، ومما صنفه وقتئذ ثم طبع فى المطبعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٨٦٩ و١٨٧٠كتابه (لشعر الشعر) أودعه نظم سفر أيوب ونشيد موسى فى الخروج ونشيده فى التثنية ثم سفر نشيد الأناشيد لسليمان وسفر الجامعة وختمه بمراثى إرميا. ونذكر بعضاً من نظمه وهو وصف أيوب للفرس:

فهل تُعطى الجوادَ يخبُّ عزماً
وتكسو عُنْقهُ عَرْقاً بَسينا

أتوثبه كمثل جرادةٍ نَف
خُ منخرهِ مهيبُ السامعينا

بـبطن الـخَبْث بحَّاثٌ وثُوبُ
ببأسٍ يلتقى الـحَرْب الزَّبونا

ويهزأ بالمخاوف ليس يخشى
عن الأسياف لم يُحجم جبينا

تصلُّ عليه واقعةً سهامٌ
وترهقهُ رماحُ الدارعينا

ويطوى الأرضاً فى وَثْبٍ ورجزٍ
ولم يُؤمن لصوت البوق حينا

إذا ما البوقُ يُنْفَخَ قال هَهْ مِنْ
عيدٍ شُنَّتِ الهيجا شئونا

ومن نظمه لمراثى إرميا :

ليسانــس آداب
جامعة طنطا

أنّى خلا منها الأنيسُ البلدةُ

ملأى شعوبٍ بالجلاء تشتّتوا

صارت كأرملةٍ معظَّمةُ الملا

القُرى ضُربَت عليها الجزْيةُ

تبكى دماً والدمعُ فوق خدودها

فَقدت عزاءَ خليلها ووَدُودها

أصحابها غدروا بها طُرّاً على

نمطِ العدى أضحوا شماتَ حسودِها

ومما طُبع له فى المطبعة الأمريكية (كتاب السير السيدية على ما أداه إلينا المبشرون الذين كانوا شهداء الكلمة. رتبها بهذا النسق تتبعاً لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا إلى صعود الرب. وذلك على طريقة طاطيانوس الذى مزج بين الأناجيل الأربعة. وقد طُبع له كتاب آخر وهو المعروف (بالقلادة الدرية فى الأربعة الأناجيل السنية) للأب يوحنا بلو اليسوعى.

ورجع مع فؤاد باشا بعد رحلة إنجلترا إلى الأستانة ، وتولى فيها نظارة الجمرك فاتُهم بالاستيلاء على أموال الجمارك، وسُجن مع آخرين، ثم فرّ إلى روسيا، وهاجم الدولة العثمانية فى الجرائد، وسافر لندن ، فأعاد جريدة «مرآة الأحوال» للشكوى من عمال الحكومة والدعوة إلى الإصلاح فى الدولة العثمانية، وكان يكتبها بخط يده ، ويطبعها على الحجر عام١٨٧٧، وأصدر مجلة عربية سماها «رجوم وغساق إلى فارس الشدياق»، وأصدر مجلة شعرية فى لندن عام ١٨٧٩، وتوفى رزق الله حسون فجأة فى لندن سنة ١٨٨٠ .

ومن آثار رزق الله حسون كتابان آخران طبعهما فى لندن: الأول كتاب النفثات ضمنه أربعين مثلاً من أمثال أحد كتبة الروس يدعى إيڤان أندريڤتش كورلف فنقلها حسون إلى العربية ونظمها شعراً وألحقها ببعض مقاطيع شعرية من نظمه:

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى

أن تدانى إلى سُهول البقاعِنِ

طارقاً لحظيرةٍ ناظراً من

نُقْبِ صخر يلوحُ ضوءُ شُعاعِ

فرأى الغَنَم المساكين والسك

ين فى كفْ حاسرٍ من ذراعِ

يذَبحُ الحمَلَ السمين ويُلقى

للعَرَى الكِرْشَ والمعَى فى الفقاعِ

والكلابُ روابضٌ ونيامٌ

لا تذبٌ ولا بِنَبْح تُداعى

فقضى عجباً ووَلى كئيباً

خائباً من مرامهِ والمساعى

قائلاً يا كلابُ كم تنبحونى

لو تعدَّيتُ مثل هذا الراعى

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائى طبعه سنة ١٨٧٢ على نسخة مكتبة لندن فى ٣٣ صفحة . وقد طبع هذا الديوان طبعة أخرى أفضل من الطبعة السابقة وأكمل منها على يد أحد المستشرقين الألمان اسمه شولتس وله كتاب آخر نفيس لم يُطبع حتى الآن سماه (حسر اللثام) ، منه نسخة بخطه فى المكتبة بمجلدين. وكان رزق الله حسون صديقاً لأدباء زمانه يُكاتبهم ويُساجلهم بأشعاره ؛ فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة:

خدين المعالى وابن بَجْدتها الفردُ

بقيتَ بقاءَ الدهر يخدمك السعدُ

وزادك ربُّ العرشِ أسنى كرامةٍ

قرينٌ بها الإقبال والفخرُ والمجدُ

ولازلتَ فى أمنٍ وموفورَ نعمةٍ

ويُمْنِ أيادٍ كسبُها الشكرُ والحمدُ

وبعدُ فقد طال البعادُ ومهجتى

يكادُ من الأشواق يضرمُها الوجدُ

وما ليَ عن لُقْياك صبــرٌ ولا غنى

ولكنّ خَطْبَ الدهر وما بينـنا سدُّ

ألا بئسما الأيامُ أغَرتْ يــد النــوى

بنا فاستطالَت ريثما قصــرَ الجدُ

موانعُ حالت دون فرضِ زيـــارتى

وقد كنتُ أرجوان يكون لـك وفْدُ

وأصبحتُ من إبطائكم فى هـواجس

تحيّرنى لا يهتدى نحويَ الــرشدُ

فأبغى للاطمئنان منكم ألوكة

إذا لم يكن منكم قدومٌ هو القـصدُ

ومما نظمه فيه المعلم بطرس كرامة أبيات قالها لما اقترن سنة ١٨٤٨ بسيدة تدعى «ماتلد» فقال:

نهاديك يا نجل الفؤادِ تهانئاً

تنبئُ عن أفراحنا حينما تبدُو

بخير اقترانٍ جاء وهو مباركٌ

يقارنها بر ويصبحهُ سعدُ

فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ

وعيشٍ رغيدٍ بُرْدُهُ الأمن والرفد

زفاف سعيدُ والهناء مؤرخٌ

موافٍ لرزق الله بالخير ما تِلْدُ

و لرزق الله حسون فى الهجاء قوله فى يوسف حجاز أحد عملة نصر الله دلال الحلبى، وكان استغنى بعد فقر فترفع:

المرء يـُذكر بـالأعمال لا المالِ

أحْسَنْ بخيرهمـا عن كسب رئبالِ

ليس الثراءُ بمُجدى الـنائـليه ثـنا

إن كان ما جمعوهُ سُحْتَ أوبالِ

وهـل سمعت بذى كبرٍ وذى صلَف

يرقى المعالى بطول القيل والقالِ

قد ظــنَّ يـوسف حجارٌ بـغرته

أن العلى هزّ عطفيهِ كمكسالِ

فجاء يخطر لا يلوى على أحد

ينيه عجباً بـأدبارٍ وإقبالِ

اللـه أكبرُ هــذا حالُ ذى شطـطٍ

نال الــمنى بعد إقتار وإقلالِ

أن سـاعدتـك الليالى كن على حذرٍ

فما تـدوم علـى لون ولا حـالِ

هَّــلا تذكـرت أيـَّاماً سلـفنَ وقـد

مضت بخدمة نـصر الله دلالِ

ومنها:

أبا هبَّنقة الـقـس الذى اشتهرتْ

أخبارهُ سُدْ بجدٍ ناعم البالِ

قد استرحتَ من العقل الرصين ورا

عى الضان يَحْكيك فى جهلٍ وأمثالِ

لا تأسفنَّ على ما فات عن عرَضٍ

النَّوك داءٌ ولكن غير قتَّالِ

قد عاش قلبك عجلٌ وهو ذو أحَسنٍ

لكنَّما أنت لا تُعْزَى إلى آلِ